
محمد عصمت
التعويذة
الخاطئة
اعداد
ربيع الكُتب
book-spring.com

(١)

(البداية)

(لمُّ الشمل)

ظهر سلويتٌ مبهمٌ لكائنٍ ضخم البنية، يمشي مترنحًا في شارعٍ مظلمٍ تمامًا إلا من إضاءةٍ خافتةٍ تنبعث من أحد أعمدة الإضاءة اليتيمة، الذي لازال يشارك بإضاءته ليلاً في شوارع القاهرة على عكس العادة، يمشي بلا هدى حتى يلمح العمود فيتجه له بخطواتٍ بطيئةٍ وجسدٍ أنهكه التعب، كان جسده يبدو قويًا مفتول العضلات، وصل للعمود فأمسك به واستند إليه وهو يلهث لتتضح ملامحه: ممشوق القوام طويل القامة، جسده يمتلئ بالشعر، لولا التغيّر الواضح في ملامحه والذي لا تخطئه عين، ولولاه لحسبته آدميًا، ذيلٌ صغيرٌ يتراقص من خلفه في خطواته، وعيناه القويتان تبعثان بآلاف التحذيرات من الخطر الذي سيجابه أي كائنٍ حيٍّ يعترض طريقه، اتضحت ملامحه أكثر عندما وصل لبداية ذلك الشارع المضيء، والذي تتصاعد منه ضوضاءٌ تدلّ على فرحٍ شعبي، وقف بعينين مليئتين بالشرّ يتأمل الشباب والرجال والسيدات وهم يرقصون على أنغامٍ مزعجة لا يفقه منها شيئًا، انتصبت قامته وتوقف الشعر الذي يحيط بجسده في تحفّز، مما أضفى عليه مظهرًا مرعبًا، زأر بقوةٍ وهو يرفع رأسه إلى السماء، تطاير اللعاب من شدقيه وظهرت أنيابه الحادة مستعدةً للقنص والتقطيع، انعكست الأضواء الملونة على صدره اللامع بفعل العرق، ساد الصمت المكان وتوقف الجميع مشدوهين وهم يتأملون ملامحه البشعة، صمت صوت الأغاني بعد أن أغلقها الفتى المسؤول عنها، ووقف ينظر مع الحشد إلى المذؤوب البشع الذي يقف مواجهًا إياهم جميعًا، بجسدٍ قويٍّ ونظرةٍ بشعةٍ وأسنانٍ حادةٍ وعينين تحملان نظرة تحدٍ لا مثيل لها، ارتعد الحشد وهو يواجه هذا المسخ، الأمهات تحتضن صغارها في

خوف، والرجال لا يتحركون قيد أنملة، شلّ الخوف الجميع قبل أن ينطق أحد الصغار موجهًا الحديث لوالده بصوتٍ مرح: الله، بني آدم براس كلب، ينفع أركبه وآخد بيه لفة؟

ضجّ الحضور بالضحك بصوتٍ عالٍ مما أزعج المذؤوب، ركض الطفل نحو المذؤوب وأبوه يركض من خلفه ليمسكه قبل أن يصل إليه، نظر الطفل لوالده بعينين دامعتين: إيه بقى يابا، عاوز أركب الكلب ده!

صرخ الرجل في طفله بلهجةٍ آمرة: ولد! عيب، إيه، مفيش أخلاق؟ أما أركبه أنا الأول أجربه وبعدين إبقى العب بيه زي ما إنت عاوز.

رفع رأسه للسماء مرةً أخرى وبكل غضب الدنيا زار، نظر لهم وهم يضحكون وتأملهم بعينين تلنان من شدة الغضب، يكاد رأسه ينفجر من شدة صوت الضحك، انتصب الشعر على جانبي رأسه وطوّح برأسه للخلف هو يزأر مرةً ثالثةً بقوة، لم يكتمل زئيره الطويل، فاجأه حذاءٌ قديمٌ طار من يد أحد الحضور بقوة ليصطدم بوجهه في عنفٍ وهو يصرخ: ما خلاص بقى يا ولود الكلب، البت عاوزة تفرح!

لم يعرف كيف يرد إلا أنه قرر أن يترك العنان لغضبه، تراجع للخلف عدة خطواتٍ وهو يثبّت عينيه على الشخص الذي ألقى عليه الحذاء، نظر له الآخر بهدوءٍ قبل أن يمدّ يده ويلتقط الفردة الثانية من الحذاء وهو يلوّح بها أمامه في تحذيرٍ واضحٍ للمذؤوب، الذي وصلته الرسالة فأدار وجهه للجهة الأخرى وأطلق ساقيه للريح، مشى في الشارع المجاور لشارع الفرح الشعبي وهو يزأر في حزنٍ بالغ، كان ينظر للأرض في خجل وعيناه مليئتان بالدموع، شعر بيدٍ تُربّت

عليه في مواساة، فالتفت ليواجه صاحبها، وجد نفسه يواجه رجلاً عجوزًا طيّب الوجه لطيف الملامح، كان العجوز يربت عليه قبل أن ينظر في عينيه بحنان أبٍ وجد صغيره التائه وهو يقول له: ما شاء الله طول بعرض بحلاوة. الصلاة على النبي.

مرّ العجوز بيده على جسد المذؤوب والإعجاب يتبدى في عينيه، نظر له المذؤوب بدهشةٍ وهو يقول: إيه يا حاج؟ بتحسس عليا ليه؟! خير؟!

التمعت عين العجوز بنشوة غريبة وهو يقول: طبعًا خير. ما تيجي؟

صاحب جملته الأخيرة بغمزةٍ من عينه، نظر له المذؤوب بدهشةٍ للحظات، قبل أن يطلق ساقيه للريح ويختفي بعيدًا خوفًا من قضيةٍ قد تنال من شرفه.

وقف الساحر يحكّ رأسه في حيرةٍ وهو ينظر لمساعده المشغول بالتنقيب في أنفه بحماسٍ بالغٍ، كما لو كان ينقّب عن مقبرةٍ فرعونيةٍ مفقودةٍ لأحد ملوك الفراعنة، تأمّل مساعده وهو يقول: إنت وقّعت حاجة من الزفت اللي بتطلعه من مناخيرك وتاكله ده في الحلة بتاعة التعويذة؟

- لا والله يا ريس أبدًا!

- يا بني طب طلع إيدك من مناخيرك وإنت بتتكلم

بالفعل أخرج المساعد يده من أنفه وتأمل إصبعه للحظات قبل أن يضعه في فمه، والساحر يصرخ به: بتاكل إيييييه؟! إنت بتاكل إيه؟!

تلذذ المساعد للحظات قبل أن يرد: اكتفاء ذاتي يا ريس، بعود نفسي عشان لو تهت في الصحرا ماكل، وعارفِ مشرب إيه؟

- مش عاوز أعرف!

- هقولك بس، مشرب من الـ..

قاطعه الساحر بإشارةٍ من عصاه السحرية ليتحول المساعد لأرنبٍ صغير، وقف المساعد في هيئته الجديدة يحك يده في وجهه بعينين دامعتين، شعر الساحر بالألم على منظر المساعد بعينيه الدامعتين، فأشار له بالعصا مرةً أخرى ليعود لهيئته الطبيعية مجددًا.

نظر له المساعد بامتنانٍ قبل أن يضع إصبعه في أنفه مرةً أخرى وهو يقول: حاولت أحط إيدي في مناخيري وأنا أرنب بس الموضوع صعب فعلاً.

غطى الساحر وجهه في يأسٍ من مساعده قبل أن يتجه للمرآة ليفكر، كان يحب التفكير وهو يتأمل هيئته الوسيمة – من وجهة نظره – في المرآة، نظر لانعكاس صورته في المرآة وتأمّل شعره المنكوش، وعينيه المليئتين بالعماص، وبقايا الطعام على وجهه وهو يفكر بصوتٍ عالٍ: دلوقت إحنا عملنا كل حاجة صح، التعاويذ والكلمات السحرية، والشعر لو يتقصر من الجناب كده ودقني تتظبط هابقى آخر شيء.. دقن إيه وشعر إيه هو أنا حلاق!! أنا جاي هنا أفكر في الكارثة اللي حصلت، أنا استدعيتهم بس المشكلة إنهم ماوصلوش، السبب إيه بقي؟ يمكن لو غسلت وشي مرتين تلاتة العماص يطلع ونظري يتحسن والشوب.. يا دي الوقعة! أنا جاي أفكر.. أفكر.. أنا جاي هنا أعمل إيه؟!

والله ما أنا فاكر.. باين كنت جاي أشوف هعمل إيه في شعري، أسلم حاجة أسيبه زي ماهو، الأتباع نزلوا في مناطق مختلفة في شوارع القاهرة ولازم أنزل أدور عليهم وأجيبهم، العصايا السحرية هتساعدني.

ذهب لمساعده ليطلب منه تجهيز السيارة لكي يبدأوا في رحلة لمّ شمل الفريق التائه، نظر له مساعده بغباءٍ قبل أن يسأله: هتعرف مكانهم إزاي؟!

أشار الساحر للعصا التي يمسكها بيده وهو يقول له: العصايا دي طرفها بينور كل ما بنقرب لواحد فيهم، هنمشي وراها لحد ما نوصلهم.

- وريني كده؟

أمسك الساحر العصا وأعطاها لمساعده، الذي أعطاه ظهره وهو يرفعها عاليًا في الهواء ويدور بها في الغرفة محاولاً جعل طرفها يُنير، دار بها دورة شبه كاملة إلى أن وصلت لرأس الساحر الذي انحنى في عنف حتى لا يطير رأسه، ونظر لمساعده بغضب: اديني البتاعة دي كده.

أمسك الساحر عصاه وانهال بها ضربًا على مساعده وهو يقول له: إنزل سخّن العربية عشان هانروح بيها.

نزل مساعده على السلم وهو يحدّث نفسه بصوتٍ منخفض: أنا مش عارف بيعاملني وِحش ليه؟! هو هيلاقي نباهتي ولا ذكائي في الدنيا؟!

صرخ فيه الساحر بقوة: عارف لو ما نزلتش هاحط العصاية دي فين؟

نزل المساعد يعدو بعنفٍ على السلم وتبدت على ملامحه أكبر علامات الفزع، دهش الساحر وهو يخاطب نفسه: هو خاف من إيه؟! أنا كنت حاطها في الجراب بتاعها.

تناول الحافظة من على المنضدة ووضع فيها العصا وأحكم إغلاقها، قبل أن ينزل السلم خلف مساعده.

*****

أخذت الفتاة تركض بشدة وأعتى علامات الرعب والهلع محفورة على ملامح وجهها، كان صدرها يعلو ويهبط بعنفٍ من أثر المجهود الذي بذله جسدها الضعيف في الركض، كان كل ما تخشاه أن يستدلّ ذلك المسخ عليها من دقّات قلبها المفزوع التي تكاد تُناطح دقات ساعة بج بن ارتفاعًا، ظهر المسخ في بداية الشارع وظلّه يرتسم أمامه على الأرض، ليصل للحائط الذي يسد الشارع في آخره ويرتسم أمامها، أثار الظل فزع الفتاة أكثر وأكثر، فشعرت أنها محاصرةٌ في شارعٍ مسدودٍ بلا مخرج، الحائط والظل من أمامها والمسخ من خلفها، فأين المفر؟! وصلت الفتاة للحائط وتلمسته بأصابعها بعصبيةٍ وكأنها ترجوه أن يُفصح لها عن مهربٍ من هذا الحصار، التفتت تتأمل المسخ الذي يقترب منها وهي تلتصق بالحائط في رعب، يُشبه البشر في تكوينه الخارجي إلا أنه أكثر شحوبًا، أذناه طويلتان بعض الشيء، ناباه الطويلان اللذان يقطران دمًا يخرجان من فمه في تحدٍ لا يقدر على مجابهته أشجع الشجعان، فما بالك بفتاةٍ مسكينة، مدت يدها في حقيبتها وتحركت أصابعها بعصبيةٍ تبحث عن شيءٍ ما مخفيّ بداخل الحقيبة، أخرجت منها سكينًا ورمته بعيدًا، أخرجت

قصافة أظافر، سلسلة مفاتيح، علبة مناديل، ورك دجاجة، ربع كيلو بسبوسة، صاعقًا كهربائيًا.. وصلت لمبتغاها، حاولت إمساك الصاعق بأيدٍ مرتعشة، إغتصبها الخوف، فسقط منها أرضًا، انحنت الفتاة لتأتي به، لامسته أطراف أصابعها وحاولت أن تُمسكه إلا أن المسخ الذي وصل إليها ركله بقدمه بعيدًا ووقف ينظر إليها، نطقت بصوتٍ مرتعشٍ متهدج: إنت عاوز منـ.. عاوز مني إيه؟

رد عليها بصوته الذي يبثّ الفزع في قلوب أشجع الرجال: أنا فامبير.

نظرت له بعدم فهمٍ وعيناها تدوران في محجريهما بسرعةٍ، وقد قاربت على فقد وعيها: مش.. مش فاهمة والله.

ظهرت نبرة نفاد الصبر على صوته المرعب: مصاص دماء يعني.

- مصاص دماغ!! يوه! وده يطلع إيه ده! متحرّش يعني؟!

- مصاص دماغ!! مصاص دماء.. دماء، وجاي عشان أمص دمـ.

قاطعته الفتاة بضحكة خليعةٍ وهي تغمز له بعينها : تمص إيه يا منيل؟! هو إنت منهم؟ مش تقول؟

نظر لها بحدّةٍ، وقال بصوتٍ حاول أن يغلب عليه طابع الجد: ما تتلمي يا بت!

ثم تابع في رصانة: أنا جاي أمص دمك عشان أنا فامبير وجعان.. فاهمة حاجة؟

- طب وتمص دمي ليه وتقرفني.. يوه هو أنا ناقصة، دا الإلكتريك اللي إنت شوطته ده بيجي ب ٣٠٠ جندي!

نظر لها في عدم فهم وهو يقول: إنتم عُملتكم هنا الجنود؟!

استطردت وكأنها لم تسمع تعقيبه: بص، إنت هاتروح بنك الدم وتسأل على الأبلة رحاب، لما تشوفها كرمشلها عشّين جنيه وقلها أنا جايلك من طرف مديحة لا مؤاخذة.

- مديحة لا مؤاخذة!!

- سلامة السمع، آه يا خويا لا مؤاخذة.

- أوكي، شكرًا.

أولاها ظهره ورحل في هدوءٍ ينتوي الذهاب لبنك الدم ليأتي لنفسه بكيس من الدم ليروي عطشه، إلا أنه سمع صوت الفتاة من خلفه وهي تهتف بدلالٍ لا يتناسب مع هيئتها: ولا أ فامبير، هاتمشي كده من غير ما تعمل حاجة؟

أتبعت جملتها بضحكةٍ خليعة، ففرّ المسخ هاربًا من الشارع المظلم خوفًا من قضايا التحرش التي امتلأت بها البلاد في الآونة الأخيرة.

*****

أخذ يقترب ببطءٍ من تلك النافذة وهو يتأمل الشخص الذي يقف خلفها، وقد شلّه الرعب وفقد قدرته على النطق، تأمله بعينين فزعتين وهو يحاول أن يهرب إلا أن قدماه لا تطيعانه، الجمع المتجمهر حول العربة يبتعد بسرعةٍ

خوفًا من ذلك المسخ، الرجل الذي يقف خلف العربة يحاول مرةً تلو الأخرى أن يتغاضى عن مظهره المنفر، يتأمل المسخ الجموع الهاربة منه بعينٍ تحمل نظرة شموخٍ وثقة، مد يده بوريقة صغيرة للرجل الذي يقاوم كي لا يقيء، وهو يتفادى النظر في عيني المسخ ويمد يدًا مرتعشةً ليأخذ منه الوريقة، بصوتٍ جهوريٍ لا يحمل بين طياته إلا الخوف تحدث المسخ: اتنين مخ بس بسرعة والنبي يا برنس.

تحرك العامل ليلبي طلبه بسرعةٍ وهو يرتعش، استند بمرفقه على العربة وهو يتأمل العامل الذي يعمل بسرعة محاولاً إنهاء طلبه في أسرع وقتٍ كي يرحل، شعر بالثقة تزداد بداخله وهو يتوق للأكل، كان جائعًا للغاية، ذهبت ذاكرته بعيدًا حيثما اعتاد الصيد ليسكت جوعه، استغرق في تأملاته وخيالاته قبل أن يفيق منها على صفعةٍ قويةٍ على قفاه، ليستدير وغضب الدنيا يعتمل بداخله ليرى من الذي تجرأ وضربه على قفاه، نظر ليجد الساحر ومساعده.

- باشاااا، صباح الكهرمان، بتعمل إيه هنا؟

- كهرمان إيه!! بادور عليك يا حيوان، إنت بتعمل إيه عندك؟

- بجيب سندوتشات مخ.

- فيه زومبي في الدنيا يقف على عربية كبدة وتقاطيع يستنى سندوتش مخ؟

- يا باشا أنا حاولت آكل زي ما كنا بنعمل، ما شفتش إنت العيال الصغيرة عملوا فينا إيه، الله ما يوريك، الواد من دول عنده خمس سنين وشايلي فيها سيف وعاملي فيها سيد موتة وإسماعيل الأبيض.

-سيد مين واسماعيلْ مين؟! يا بني ردّ على قد السؤال الله لا يسيئك.

- حاضر يا بوب.

أنهى جملته قبل أن يشعر بصفعةٍ أخرى على قفاه لينظر خلفه ويهتف في مرح: أبو المصاميص، حبيبي يا فامبير. وإنت يالا يا مذؤوب يا مِشعر إنت مش ناوي تنضف بقى وتحلق؟ أجيبلك عشرين جنيه تحلق بيها؟ حبيبي.

قطع حبل المرح صفعة هائلة على قفاه مرةً أخرى من الساحر الذي هتف فيه بغضب: إيه يا روح أمك جاي تتعرف عليهم هنا؟ يالا عشان ورانا شغل كتير جدًا. لو خطتنا تمت على خير هانحكم الأرض كلها.

أعطاهم ظهره ومشى بخطوات مَن ملك الأرض، وهم يمشون خلفه والزومي يردد في سذاجة:

أوفر أوي موضوع السيطرة على الأرض ده.

- بتقول إيه ياض؟

- ولا حاجة يا أبو السحرة، إنت زي الفل يا رياسة.

******

(الاستعداد)

جلس الساحر في غرفةٍ في منزله أمام لوحةٍ كبيرةٍ عليها خريطة مكبرة لمصر، وخريطة مصغرة للعالم. أمسك في يده قلمًا أحمر اللون ومساعده يقف بجواره ينقب في أذنه بحثًا عن جديد. المسوخ الثلاثة يجلسون أمامه وأعينهم مثبتة بتركيزٍ على اللوحة الموضوعة أمامهم، ويستمعون لشرحه: أنا قررت أسيطر على العالم. وزي ما إنتم عارفين إن ده حلم الآلاف، لا حلم ملايين من البشر، ناس كتير حاولوا وفشلوا، لأنهم كانوا بيحسبوها غلط. كلهم فكروا في القوة الدنيوية الحقيرة اللي بتزول. أنا الوحيد اللي حسبتها صح. عشان تحكم العالم لازم تحكمه بأكتر سلاح الناس بتهابه، بالخوف. عشان كده أنا عملت تعويذة عشان أقدر أجيب بيها أتباع ليا يساعدوني، كل واحد فيهم هيبقاله مملكة باسمه ورعية هو حرّ فيها يحكمها زي ما يحب. للأسف التعويذة طلعت خاطئة. بدل ما تجيبلي الفريق لحد عندي.. كل واحد فيكم نزل في حتة. بس الحمد لله قدرنا نتجمع بسرعة.

نظر لمساعده فوجده مستمرًا في العبث بأذنه: يا حبيبي بطل لعب. هي أي فتحة وخلاص!!

التفت مرةً أخرى للجمع الذي أمامه وعاد يخطب فيهم من جديد: لو كل واحد فيكم نفّذ دوره هنقدر نحكم كل العالم. إحنا هنبدأ من هنا. من أم الدنيا.

قاطعه الزومي: أم دنيا؟ الأستاذة دلال عبد العزيز. بحبها قوي.

أخرسته صفعةٌ على قفاه من المذؤوب، الذي خاطبه بصوتٍ غاضب: ركز!

نظر له الساحر نظرةً طويلةً لا تحمل إلا معنى واحد، قبل أن يستكمل: هنحتل مصر وبعدها نحتل الدول القريبة دولة دولة، هنوسّع نطاق المملكة بتاعتنا، وكل الكائنات الحية، سواء كان بشر، نبات أو حيوان هيكونوا أتباعنا.

لكز الزومبي المذؤوب بمرفقه وهو يقول: بيقول حيوان، يقصدك إنت صح؟

ابتسم له المذؤوب ابتسامةً صفراء تعني أبو شكلك دون أن يرد، نظر الساحر للزومبي الذي أثار شغب زميله وهو يقول له: إنت جاي تنقطني من العالم الآخر؟ ما تلم نفسك! عاوز إيه؟!

-جعان يا اسطى!

نظر له الساحر باشمئزاز وهو يتمتم: أسطى!!

وجّه الساحر نظراته للفامبير الذي يجلس بهدوء متابعًا ما يحدث، قبل أن يحدّثه: إنت أكتر واحد فيهم شبه البشر وهتعرف تتعامل تحت، شوفهم هياكلوا إيه وأنا هديك فلوس تجيبلهم أكل.

بدت الفرحة على ملامح الزومبي وهو يهتف: الله عليك يا مَعلمة.

اشمئز الساحر للمرة الثانية وهو يقول للجميع: يا جدعان سكّتوه، وعهد الله هقتله وأسلم نفسي وأبلغ عنكم كلكم وأبوّظ المهمة!

سارع المذؤوب بضرب الزومبي على قفاه وهو يشير للساحر باستكمال كلامه.

استطرد الساحر: أنا والمساعد بتاعي هانجهز التعويذة اللي هاتديكوا القوة اللي محتاجينها لخطتنا على ما تاكلوا.

قال المذؤوب بصوتٍ مرح: أيوة عارفها التعويذة دي، دي اللي بتملى حلة كبيرة مية مغلية وتقعد تلف حواليها وتقول بووم شاكا لاكا بووم، بووم شاكا لاكا بووم، صح؟

صاح به الساحر: بووم شاكا لاكا؟! الله يخرب بيت التليفزيون اللي بوظلكم دماغكم ده!! وإيه حلة مية مغلية دي؟ هوا أنا داية يا ولاد الـ... خد يا فامبير معاك ١٠٠ جنيه انزل هاتلهم الأكل.

*****

نزل الفامبير للشارع وهو ينوي أن يذهب لإحضار الطعام لزملائه، أخذ يتأمل الشارع والناس وهو يمنّي نفسه أنه يومًا ما سيحكم، يومًا ما سيكون الملايين من البشر تحت يديه، سيقف في شرفة قصره المهيب ملتحفًا عباءته السوداء وهو يطلّ عليهم بجبروت، بعنف وبكل شر الدنيا، سيمد يده المعروقة ويشير بها إلى شابٍ لا يتجاوز العشرين ربيعًا، سينظر له الشاب بهلع وسيخر مغشيًا عليه من شدة الخوف، ستنهار والدته على الأرض، ستجوب الأرض محاولة إيجاد أي طريقةٍ للوصول إليه، ستصل إليه، ستدخل إليه وتركع أمامه ترجوه أن يترك لها وحيدها، هو الذي يرعاها، سيقف من على عرشه، سيُبرز أنيابه ويتجه لها بخطواتٍ متثاقلةٍ والشعور بالفخر والقوة قد أثمله، سيقف أمامها ويفرد قامته، ستظلم القاعة وسينهمر المطر، سيضرب البرق لينير الغرفة لثوانٍ قليلةٍ سيقوم خلالها بـ...

- ولا أ فامبير يخرب بيتك، دوختني عليك يقطعك! أنا قطرتك امبارح إنت وأصحابك لحد ما عرفت بيتك.

قاطع هذا النداء حبل أفكاره، وبلهجتها السوقية أخرجته من أحلامه وألقت به في الواقع. التفت للخلف ليتأمل الفتاة التي نادته، وجد مديحة تقف أمامه. تذكرها وفكر أن يفر من أمامها مرةً أخرى، قرر الاستسلام لقدره، خاطبها بصوتٍ حاول ألا يظهر فيه خوفه: مديحة!! مديحة سلانسيه! صح؟

- سلا.. إيه يا خويا؟! أنا مديحة يا واد. مديحة لا مؤاخذة.

- إنتي حضرتك عاوزة مني إيه بالظبط؟!

- حضرتك، هي هي.. أصل أنا من زمان نفسي أقابل واد مصاص دماء يكون حليوة وجدع كده.

- إشمعنى بقى إن شاء الله؟

- بص، أنا هاقولك، أنا نفسي أبقى زي البت بلية بتاعة فيلم الشفص.

- بلية بتاعة فين. بس الله يخربيتك هاتبوظي الدنيا! اسمها بيلا والفيلم اسمه الشفق (توبلايت)!

- أيوة هو ده، أنا من زمان نفسي في واد حليوة كده بيلعب جيم وعنده بودي بيلدنج وبـ.

- ثانية واحدة بس!! بيلعب جيم وممكن أفوتها إنما عنده بودي بيلدنج ده يطلع ايه؟!

- أيوة اللي هو عضلات الباي والتراي والسمانة والصدر بلاطة والبطن بكل الاطة باين، المهم سيبني أكمل.

- أنا آسف، فعلاً آسف، كملي!

- الواد ده بقى يقلع ملط في وسط الشارع ويرش على نفسه ترتر وجليتر ويقعد يلمع كده.

- ملط ويقلع وترتر. هو خواجة؟!

- خواجة؟! هتسمع ولا أغزك؟!

- هسمع، كملي يا ختي!

- وبعدين ياخدني على ضهره ويتنطط بيا من غية حمام للتانية، وأنا متشعلقة فيه كده.

- وهو ملط؟!

- لا ما هو هايقلع يلمع يلبس تاني على طول، عارف لو اتجوزنا هانخلف إيه؟

- اتجوزنا مين؟! هو ينفع نتجوز حد إحنا الاتنين؟!!

- لا. إحنا لو اتجوزنا بعض!

- أنا وانتي؟! هتخلف كلب!

ظهرت علامات الشر على وجهها وهي تهتف: بتقول إيه؟!

تردد الفامبير والخوف يظهر جليًا من بين كلماته: بقول واد هانحبه من القلب.

- طب إيه؟

- ألعب باليه.. نعم؟

- هاتيجي تخطبني من أبويا امتى؟

- وأخطبك ليه؟

- يا فيفي يا حبيبي إحنا سيرتنا بقت على كل لسان، وبصراحة لازم نشوف حل لعلاقتنا دي!

- يالا يلعن أبو شكلك يا بت يا جزمة أنتي، أنا يتقالي فيفي؟

- بص أنا قلبي أبيض وهاسامحك على كلمة بت دي.

- كلمة بت بس هيا اللي ضايقتك؟ هافكر وهارد عليكي!

- طب خد بالك أحسن فيه كلب بيتبول ألماني اسمه جيكوب بيحوم حواليا.

وضع الفامبير يده على رأسه وهو يدعو الله: صبرني يا رب.

*****

حاول الفامبير أن يصعد السلم إلا أن مديحة أوقفته بجوار الباب. أغلقت باب السلم ونظرت له بعينين رأى فيهما شهوة، رغبة، اشتياق. نظرات عينيها تلتهب وجسدها يموج بالرغبة، رائحة أنفاسها الكريهة تحاصره بينما الحول في عينيها يجعله لا يريد شيئًا في الدنيا قدر اشتياقه للهرب من بين يديها. شعر بالدفء الصادر عن جسدها. نظرت له بدلال حاولت أن تجعله مصحوبًا بغنج إلا أنه جعلها أشبه بأنثى البطريق في موسم التزاوج. اقتربت منه في بطء وعيناها تحمل نظرة فهم معناها، شفتاها اللتان تهتزان في طلبٍ غير بريء جعلاها أشبه بمرضى الجلطة. اتسعت عيناه بفزع عندما حاول أن يهرب وفوجئ أن الحائط خلفه، يقطع عليه أي طريق للهروب. أخذ يراقبها بعينين واسعتين وهو يفكر بسرعة في أي وسيلة. اقتربت منه ومالت بجسدها نحو رأسه. أغمض عينيه ولكنه شعر بدفء زفيرها على جانب وجهه وهي تهمس في أذنه: ما تجيب سندوتش كبدة ياض!

نظر لها الفامبير بخيبة أملٍ مصحوبةٍ باشمئزازٍ، قبل أن يتملَّص من بين يديها وهو يصعد على السلم وهي تصعد خلفه تخاطبه بلهفة: طب سندوتشين؟! طب نص سندوتش. طب هاخد قطمة. طب أشمه بس!

- تشمي إيه يا مديحة، هو سندوتش ورد؟!

- لا مبحبوش!

تساءل والدهشة على وجهه: مبتحبيش إيه؟!

أجابت ببراءة وهي مغمضة العينين تستمتع برائحة الكبدة: سندوتشات الورد!

بمجرد أن أنهت جملتها كان يقف على باب الشقة، انتهز الفرصة بينما هي مغمضةٌ عينيها وركلها في منتصف بطنها بقدمه، وأسرع بالدخول للشقة وأغلق الباب خلفه بإحكام.

بمجرد أن التفت فوجئ بالساحر يضع اللمسات الأخيرة على تعويذته وهو يناقش مساعده غير المنتبه إليه، بينما المذؤوب نائم والزومبي يضع قراطيسًا ورقية بين أصابع قدمه ويتأهب لإشعالها، نظر الزومبي للفامبير وهو يقول بصوت مرح: هانولعها ونحرقله رجليه..

لم يستطع إكمال الجملة بسبب القفا الذي بادره به الساحر وهو يصيح به بنفاد صبر: إحنا هانلعب! من بين ١٢ مليون زومبي، أنا كنت سيء الحظ جدًا إني حضّرت الوحيد المعتوه اللي فيهم!

صاح الزومبي بغضب: لأااااااااه، انا ما أضربش على قفايا، أنا زومبي محترم، أنا اتعرض عليا فيلم التعويذة بتاع الأستاذة هيفا في دور بطولة وأنا اللي رفضت عشان خاطرك!

بادره الساحر بصفعةٍ أخرى على قفاه: يا بني الله لا يسيئك اسكت، الفيلم اتعرض من عشرين سنة خلاص ومكانش بتاع هيفا أصلاً.

- قول والمصحف؟

- أه والله.

- طب أنا آسف يا أبو السحرة يا غالي.

- أبو السحرة!! طب صحيلي المذؤوب بقى عشان محتاج أتكلم معاكم كلكم شوية، بس الأول هنحضّرجن عشان يساعدنا.

سمع المذؤوب الكلمة فانتفض بقوةٍ وهو يعتدل ويقول: جن لا يا حاج، أنا بخاف!

نظر له الساحر بريبةٍ وهو يقول: بتخاف!! إنت مشفتش نفسك قبل كده في مرايات؟! المهم أنا عاوز أقولكم حاجة، إحنا هنحضّرجن وده الشخص قبل الأخير في الفريق، الشخص الأخير هيكون مفاجأة، المهم زي ما إنتم عارفين، لازم نرتب نفسنا عشان مانتلخبطش، الفامبير مسؤول عن أي تعامل خارجي مع البشر بحكم الشكل والهيئة، أما المذؤوب فهو قائد الفريق، هو اللي يحكم ويرتب كل حاجة في غيابي، حد عنده أسئلة؟!

رفع الزومبي يده فأشار له الساحر بالكلام: وأنا دوري إيه؟!

رد الساحر في فقدانٍ للأمل: إنت هتسكت خالص وإحنا هنحاول نستحملك ومانقتلكش قبل نهاية المهمة.

قلب الزومبي شفتيه في امتعاضٍ قبل أن يتحدث المذؤوب: أنا موافق، وأحب أقولك إني قد المسئولية، بس بصفتي القائد أحب أعرف مين هينضم لينا وتوزيع أدوارهم في المهمة، أنا كقائد لازم أكون مسيطر.

نظر له الساحر نظرة احتقارٍ قبل أن يقول: طب والنبي قبل ما تعمل فيها قائد شيل القراطيس الورق من بين صوابعك.

جلس المذؤوب بارتباكٍ وهو يزيل تلك الأوراق من بين أصابع قدميه، وهو ينظر للزومي نظراتٍ متوعدةٍ بين الفينة والأخرى، فتح الساحر كتابًا ضخمًا أصفر الأوراق مترهئا، وطفق يقرأ فيه كلامًا بلغةٍ غريبةٍ لم يفهمها أيهم، استنتج الجميع أنه يقرأ تعاويذ معينة كفيلة بإحضار هذا الجان، ولكنه يقرأها رأسًا على عقب مما جعلها أشبه بلغةٍ مرعبة، رعشةٌ باردةٌ اهتز لها جسد الساحر فدقت قلوب الجميع بخوف وصوته يعلو بقوة، شعر الجميع بصوتٍ خفيض ينتج عن اهتزاز حوائط المنزل بسرعة، دارت الدنيا من حولهم بينما هم يسمعون صوتًا من الشارع يشبه الحفيف، اندفع الجميع نحو النافذة بينما انهمك الساحر في القراءة، أسطوانةٌ شفافةٌ تكوّنت بين السماء والأرض في منظرٍ أسطوري، من رحمة الله على المواطنين في الشارع أنهم لم يروه، أسطوانةٌ تشبه تلك التي تظهر في أفلام وروايات الخيال العلمي إلا أنها حقيقية.. فغر الجميع أفواههم وهم يراقبون ذلك الكائن بشع الخلقة الذي يهبط فيها ببطء وهو يتأمل الجميع بنظرات ثقة، نظراتٍ مليئةٍ بالقوة، نظرات احتقارٍ لكل الأجناس التي يعتبرها أدنى منه، استعدّ الجنيّ للهبوط على الأرض إلا أن حظه السيء لم يسعفه، كانت نهاية الأسطوانة تقع بالضبط على بالوعةٍ مفتوحة، لذلك وللأسف لم تمس قدماه الأرض وإنما استمر في الهبوط حتى سقط في البالوعة.

ضحكاتٌ مجلجلةٌ اندفعت من حلق الزومي قبل أن يبادره المذؤوب بصفعةٍ قويةٍ على قفاه، وهو يهتف به في غضب: بطّل ضحك وانزل هاته بسرعة.

*****

(البدء)

رفض الزومي النّزول لإحضار الجني خوفًا منه، بينما رفض الفامبير النزول لسببٍ مختلفٍ تمامًا، فهو يعلم أنه إذا نزل لن تمر عدة ثوانٍ حتى يجد مديحة فوق رأسه، وهو للأمانة يخشى مديحة أكثر مما يخشى الزومي الجني.
كان على الساحر ومساعده أن يستكملا التعويذة، خصوصًا وأن هناك فردًا لا يزال ناقصًا من الفريق، اتجهت أنظار الجميع إلى المذؤوب الذي ابتلع ريقه بصعوبةٍ في صوتٍ مسموع وهو يحاول إخفاء رعشةٍ خفيفةٍ سرت في جسده، حاول أن يبدو بمظهر الواثق وهو يمشي نحو الباب ببطء، مد يده لمقبض الباب وهو يحاول إخفاء رعشة يده، قبل أن يلتفت ليُلقي نظرةً أخيرةً على زملائه الذين امتلأت أعينهم بالدموع وامتدّت أيديهم في أملٍ بلمسةٍ أخيرة، قبل أن يبادرهم الساحر بالصياح: إيييييه هو نازل يفجّر نفسه! بتودعوه!! متشلوني ليه؟! دا نازل تحت البيت يا مجانين!

قبل أن يُتمّ الساحر جملته كان المذؤوب يغلق الباب خلفه ويهبط درجات السلم ببطء.

نصف ساعةٍ مرّت والمذؤوب لم يظهر ولا الجني حضر، اجتاح القلق قلب الساحر فأمر الزومي أن يهبط لإحضاره، كاد أن يتذمر إلا أن آخر صفعةٍ على قفاه كان لا يزال يشعر بأثرها ساخنًا.. فآثر الصمت وتحرك نحو الباب، هبط الزومي وبمجرد أن خرج من باب العمارة حتى فوجئ بالمذؤوب محني الظهر ويمشي على يديه وركبتيه بينما عدة أطفالٍ لا يتجاوزون عامهم التاسع يلتفون حوله، منهم من ركب على ظهره وأمسك بيده غصن شجرةٍ نحيلٍ

يضربه به في محاولةٍ لجعله يسير بسرعةٍ أكبر. بينما الآخرون قد لفوا حبل غسيلٍ مهترئ على رقبته ويحاولون جره منه، اندفع نحوهم في خطواتٍ سريعةٍ وهو يصيح بهم محاولاً إخافتهم: إيه يا بني إنت وهو اللي إنتم عاملينه ده؟!

أجابه أحد الأطفال بنبرةٍ تحمل الكثير من الخشونة التي لا تتناسب مع سنه: إيه يا عم الله يسهلك؟!

تعجب الزومي قبل أن يجيب: بس يا حبيبي سيب عمو المذوب عيب كده.

أجاب الطفل في لهجة ساخرة: عمو الزعبوب مين؟ روح.. روح يا عم شوف حالك!

حملت لهجة الزومي الكثير من العتاب وهو يهتف بالطفل: عيب كده يا بني.

- إلا هو الكلب ده ما بيمشيش كويس ليه؟ مفهوش بنزين؟!

أخيرًا نظر المذوب للزومي نظرةً تحمل الكثير من الانكسار وهو يقول بصوتٍ خافت: كانوا عاوزين يمونوني!

ظهرت نظرة جزع على الزومي وهو يهتف به: هيمونوك منين؟!

نظر المذوب للأرض في خجلٍ واحمرّ وجهه وهو لا يقدر على النطق، وعلى الفور فهم الزومي فاتسعت عيناه بهلعٍ وهو يهتف بالطفل الذي يركب على ظهره: ولا! انزل!

رد عليه الطفل: ارزع!

بادره الزومي بالقول: انتش!

فقال الطفل: اركب!

صرخ في الطفل بنفاد صبر: يا بني، إنت هتدخلي قافية؟ انزل من على ضهره.

- هو الكلب دا بتاعك؟ لا مؤاخذة يا عمو مكناش نعرف.

قالها الطفل ببراءةٍ مصطنعةٍ، قبل أن يترجل من على ظهر المذوب الذي اعتدل وهو يضع يده على ظهره في إشارةٍ واضحةٍ للألم الذي أصابه، قبل أن ينهمك في فك الحبل المربوط برقبته، نظر للزومي وهو يقول بلهجة قائد: يالا عشان هنجيب الجني ونطلع، ولو إني مش عارف لازمته إيه في الخطة برضه!

- أنا عارف، هيلعب راس حربة.

قالها الزومي وانهمك في قهقهةٍ ضاحكةٍ، قبل أن يقاطعه المذوب بصفعةٍ هائلةٍ على قفاه ليبتلع باقي ضحكاته ويصمت.

تراجع الجميع في هلعٍ إلى ركن الغرفة التي وقف فيها الجميع في بيت الساحر. تلاصقت الأجساد ببعضها علها تستمد لمحة طمأنينةٍ من بعضها، رجفات الأجساد المتلاحمة جعلتهم أشبه بجسدٍ ضخمٍ يهتز بلا انقطاع، الهلع كان الصفة السائدة عليهم جميعًا، نظر الجميع لبعضهم قبل أن ينظروا للجني الذي يقف أمامهم يراقبهم بأعينٍ غاضبة، وقف مبتلاً إلا أن هذا لم يمنع النيران الملتهبة حوله والتي يتغير لونها باستمرارٍ بين الأحمر والأزرق، عيناه

جمرتان مستعرتان من قلب الجحيم تحملان سوادًا مخيفًا، وجهه طويلٌ بشع الخلقة، له قرنان أسودان متقرّحان، أحدهما مكسورٌ دلالة على معركةٍ سابقة تركت لها أثرًا، أحد خديه به ثقبٌ كبيرٌ حوله جرحٌ بشعٌ تصدر منه أصواتٌ تكاد تنبئك أن هناك شيئًا ما يحاول الخروج من أعماق هذا الجني، حيث يقبع الجحيم بلا أي مبالغة، يداه معروقةٌ نحيلةٌ تنتهي بأظافر طويلة، تحمل تحتها سوادًا قانيًا لا تعرف أهو دمٌ جافٌ أم بقايا لحمٍ مهترئ، أدار الجنيّ نظره ليشير بيده إلى أحد الكراسي. اهتزّ الكرسي للحظاتٍ في مكانه قبل أن يبدأ التحرك ببطءٍ وهو يسرع حيثما وقف الجني، وكأنما لا يقدر ألا يطيع أمره، جلس الجني على الكرسي الذي أخذ يتحول ببطء، تبدل لونه للأسود المحترق، لهبٌ أسودٌ ساخنٌ تصاعد بشدّةٍ من ظهره، أرجله تحولت لما يشبه أرجل الأسد، تحول لكرسيّ عرشٍ ليناسب ملك الجحيم. أشار لكرسيٍّ آخر أسرع أيضًا ليتمركز أمام كرسيه. وبإشارةٍ منه تحوّل لكرسي عرشٍ فخم، أحمر اللون بهي المنظر. أشار الجني تجاه الكتلة التي تقف بعيدًا عنه، ليشير لأحدهم بالجلوس على عرش الملك أمامه، نظر الجميع إلى بعضهم في توتر قبل أن ينظر المذؤوب للساحر المنكمش معهم: إنت بتعمل إيه هنا؟!

- أ.. أنا خايف.

صرخ المذؤوب بغضب: إنت هتشلّني ليه؟ مش إنت اللي محضّره؟ روح يا حبيبي أقعد على الكرسي وكلمه مش هيئذيك!

همهم الساحر بصوت خفيض: وعد؟

استكمل المذؤوب صراخه: هو أنا بقولك هاجي أخطبك بكرة عشان تقولي وعد؟! روح يا عم!

تحرك الساحر وهو يرتعش من الخوف ليقترب من الجني ويجلس على الكرسي أمامه، قبل أن يتمالك أعصابه ويبدأ بشرح الخطة، دقائق مرت والجني لا يتحرك والساحر يكرر المعلومات المهمة أكثر من مرة حتى يتأكد أنه استوعبها، نظر له الساحر وقد بدأ يتغلب على خوفه، نظر في عينيه بهدوء وهو يسأله: فهمت دورك في الخطة؟!

هز الجني رأسه في دلالةٍ على الفهم، كرر الساحر سؤاله: فهمت كل حاجة كويس؟!

هز الجني رأسه مرةً أخرى بدون أن ينبس ببنت شفة، سأل الساحر: عندك أي أسئلة، أي ملحوظات؟!

هز الجني رأسه للمرة الثالثة، فانفجر فيه الساحر بغضب: ما تقعدش تهزلي دماغك كده، انطق. ما تحسسنيش إني بكلم نفسي!

نظر له الجني للحظات قبل أن يقول: آبا.. آبا آبا.. آبا..

ظهرت الدهشة على وجه الجميع، نظروا لبعضهم البعض قبل أن تتركز نظراتهم على الساحر، الذي قال بدهشة: إنت أخرس؟!

هز الجني رأسه: آبااااااااااااااا..

نظر الساحر للسماء يناجي خالقه بصوتٍ متضرعٍ ذليل: ليه كده يا ربي! زومبي أهبل وجني أخرس في فريق واحد، ساعدني يا رب!

*****

وقف الجميع أمام الساحر في صفٍ منظَّم، نظر لهم والمذؤوب يقف على يمينه بينما مساعده الذي يحك رأسه باستمرار بحثًا عن شيءٍ يبدو أنه ضاع بداخلها يقف على يساره، الجني والزومبي والفامبير يقفون بنظامٍ صامتين يستمعون للتعليمات، صوت الساحر القوي يضفي على كلماته هيبة كبيرة: هوزّع عليكم دلوقت أجهزة لاسلكي عشان نعرف نتكلم، هنكلمْ بعض بيها، بالنسبة للكل إنتم ظاهرين، الجني أنا كنت خافيك عن عيون البشر بتعويذة لحد ما نتفق، وبما إننا اتفقنا، بدايةً من اللحظة دي أي حد هيشوفك، أدواركم في الخطة عرفتوها، هنبدأ دلوقت نتحرك عشان نجيب العضو الخامس من الفريق، عنصر الحكمة، الذكاء، الأفكار.

كان يتحدث وهو يعطي كلاً منهم جهاز اللاسلكي الخاص به، أمسك الزومبي الجهاز خاصته قبل أن يتساءل بذكاء جمّ: تاتش ده؟!

نظر له الساحر: ولما بضربك على قفاك بتزعل مني! ركز شوية، هنروح دلوقت عشان هنحضّر العضو الأخير من أهم حاجة في التاريخ، هنجيبه من الحضارة...

قاطعه الزومبي مرةأخرى: هنجيبه من الحضانة؟!

اسكت، اسكت عشان مولعش فيك، متتكلمش تاني، ممكن؟

- ممكن يا شقيقي.

نظر له الساحر بغلٍّ قبل أن يستكمل كلامه: إحنا هنخلي الخوف ياكل قلوب الناس، مهمتكم إن كل المخلوقات في المكان اللي هننزل فيه يخافوا مننا، فاهمين؟ لازم يترعبوا لدرجة ماوصلولهاش قبل كده، وساعتها هظهر أنا، هوعدهم بالأمن، بالأمان، هوعدهم بانتهاء المشـ...

قاطعه الزومبي للمرة الثالثة: والجن الأخرس هيتكلم معانا في الووكمان ده إزاي؟!

نظر له الساحر بعينين حمراوتين من شدة الغيظ: لو قاطعتني مرة تانية هسخطك قرد، ومش أي قرد، هسخطك قرد معوّق، أولاً: ده اسمه لاسلكي، ووكي توكي، ثانيًا: الجني عنده قدرة ينقلك أي حاجة عاوز يقولهالك بأفكاره مهما كنت بعيد عنه.

وجه الساحر نظراته للجني وهو يشير له أن ينقل أي رسالةٍ لعقل الزومبي، الذي وقف للحظاتٍ في قمة تركيزه، قبل أن يتغير وجهه بمجرد أن سمع كلمة الجني تتردد في عقله وهو ينظر له ويخاطبه بلوم: هو أنا جبت سيرة أمك دلوقت؟!

ابتسم الجني إبتسامةً شريرةً قبل أن يستكمل الساحر: جهزوا حاجاتكم عشان هنطلع من هناك على أول حاجة في خطتنا، هنحتل ميدان التحرير.

انهمك الجميع في تجهيز حقائبهم وجمع مستلزماتهم وكل ما يخصّهم أو سيحتاجونه في مهمتهم للسيطرة على الأرض، انتهى الجميع وحمل الكل

حقائبهم على ظهورهم، قبل أن يتوجهوا للباب في خطواتٍ بطيئةٍ وهم يتبادلون النظرات فيما بينهم، نزلوا السلم بهدوءٍ في تشكيلٍ منتظم وهم يبدون كنجوم السينما الأمريكية، لو أن هذا المشهد يُصوّر سينمائيًا لعُرض بالتصوير البطيء، لم تمر لحظات إلا واختل توازن الزومبي ليسقط من السلم عليهم ويطرحهم جميعًا أرضًا.

*****

مشى الفريق ببطءٍ متخفيًا تحت ستار الليل، لا يراهم أحدٌ ولا يشعر بهم أحد، ينير لهم الجنيّ الطريق بنيرانه المستعرة على الدوام، يتسللون في جنح الليل لإحضار العضو الأخير، شعروا بصوت أقدام تتبعهم، توقف الجميع ونظروا للخلف إلا أنهم لم يروا شيئًا، دقّت القلوب وقد بدأ الفزع يطرق أبوابها بعنف، تجاهل الجميع ما حدث وحاولوا التركيز في مهمتهم الأخيرة، استمر الجمع بالمشي في خطواتٍ متسللةٍ صغيرةٍ تكاد لا تُصدر صوتًا، ضحكةٌ خافتةٌ شريرةٌ شلّت الجميع، توقّف الجمع للمرة الثانية ونظر الجميع لبعضهم البعض في فزع، صوت الضحكة يتردد في سكون الليل، تتسارع دقّات القلوب ويعلو صوتها، لم يعد الساحر يستطيع أن يتماسك أكثر من هذا، فتح الساحر فمه ولم يكد يُصدر أول أوامره بالتحرك حتى انفجر عمود الإضاءة من فوقهم بدويّ هائل، صمت الجميع، ساد الوجوم على الجميع إلا من صوت الزومبي الذي شق صوته الصمت وهو يقول: ياختيييبي على حظي المنيل يا أبا يا أما، مش مكتوبالك يا أبو الزمـ...

قاطعه الساحر بصفعةٍ قويةٍ على قفاه وهو يأمره بالتحرك تجاه مصدر الضحكة الخافتة ليستطلع الأمر، إلا أنه رفض. لم يستطع الساحر ومساعده أن يتحركا من شدة الخوف، والجني مسؤولٌ عن إضاءة المكان بينما المذؤوب قائد الفريق، التفت الجميع في بطءٍ وركزوا نظراتهم على الفامبير الذي انتابته رعشةٌ خفيفةٌ حاول على إثرها التماسك وهو يبثّ الطمأنينة إلى قلبه في محاولةٍ فاشلة، تحرّك الفامبير بأقدامٍ متهالكةٍ من شدّة الخوف، شعر بأن

وزن أقدامه صار أطنانًا من الرعب والفزع. تمالك أعصابه وتحرك نحو مصدر الضحكة الخافتة التي لا تزال تتردد. صدى الصوت أضفى عليها بشاعةً مخيفة. نظر الفامبير لزملائه نظرةً أخيرةً كنظرة وداع قبل أن يصل لبداية الطريق. يجب عليه الآن أن يدخل لذلك الشارع الضيق الجانبي. ذلك الشارع المظلم. ويزداد الأمر سوءًا بتلك الضحكات الشريرة الخافتة. فجأةً امتدت يدٌ آثمةٌ لتجذب الفامبير بجنون لتخفيه داخل ثنايا الظلام الدامس. لحظاتٌ ثقيلةٌ مرّت على الجميع وهم ينظرون تجاه المكان الذي اختفى فيه. لم تمر لحظاتٌ حتى سمع دويّ صرخة الفامبير يتردد بيأس. لم تكن صرخةً عادية، كانت صرخة من قابل الموت وجهًا لوجه.

*****

هدأ الفامبير قليلاً بعد صرخته. فوجئ أنه يواجه وحشًا مفترسًا بشع الخلقة. ذو شعرٍ ثائر وعينين دمويتين. أنفٌ معقوفٌ وفمٌ واسعٌ يسيل منه اللعاب في جشع. حاول جمع شتات نفسه وهو ينظر للوحش في عينيه الدمويتين إلا أن حولاً واضحًا واجهه. حولٌ واضح؟! إنها مديحة!

- مين؟ مديحة! الله يحرقك وقفتي قلبي!

نظرت له بعتاب الأحبة وهي تحاول إضفاء دلالٍ على لهجتها السوقية: ليه شفت عفريت يا ابن والدي؟

حاول ألا يقيء في وجهها وهو يتجنب النظر في عينيها الحولاوين: عاوزة إيه يا مديحة؟!

نظرت للسماء في محاولةٍ للتفكير: تعرف يا سي الفامبير. الواحدة مننا عاوزة حاجات كتير قوي. عاوزة أتجوز. أتستر. أبني بيت وأسرة. آه.. الواحدة مننا تحلم براجل. واخدلي بالك يا جدع. كمان بحلم أعيش في حتة راقية. ألبس لبس نضيف. يبقى عندي عربية بسواق وسفرة بسفرجي ومطبخ بطباخ وحمام بشطافة. نفسي في حاجات كتير.

نظرت له بولهٍ قبل أن تُتم جملتها: نفسي آكل!

نظر لها بدهشة: هو أنا الشبراوي!! أنا مالي ومال الأحلام العجيبة دي. عاوزة مني إيه؟

نظرت له وحاولت أن تنظر في عينيه اللتين استمرتا في تجنبها. وقد فسرت هذا أنه يحاول ألا يقع فريسةً لجمالها الخلاب: عاوزاك تحوّلني.

- أرجعك بني آدمة تاني يعني؟! لا دي حاجة ميقدرش عليها إلا ربنا.

- لا.. أنا فعلاً بني آدمة. أنا عاوزة أبقى فامبايرارابة!

- عاوزة تبقي إيه؟

- عاوزة أبقى زيك.

- مينفعش يا مديحة.

خلال أقل من ثانيةٍ كانت مديحة قد كشّرت عن أنيابٍ حادةٍ وهي تضع مطواةً حادّة النصل على رقبة الفامبير. وهي تنظر له بعينين ملتهبتين من فرط

الجنون، حدّثته من بين أسنانها بلهجةٍ تحمل عنفًا وشرًا لا مثيل لهما: هو إيه اللي ما ينفعش؟!

- ما ينفعش نضيع وقت، لازم أحولك حالاً، ده قصدي.

في لمح البصر كانت قد أخفت المطواة وقد عاد وجهها لطبيعته وهي تنظر له بحبٍ جارف: يالا يا حبيبي.

أغمض عينيه وهو يقترب منها لتزكم رائحتها أنفه، وهو يجبر نفسه على الاقتراب حتى لامست شفتاه جانب رقبتها، صرخة حادة اندلعت من بين شفتيها لتصمّ أذنيه.

*****

للمرة الثانية خلال وقتٍ قصير سمع الجميع صوت صرخةٍ حادةٍ، وإن كانت هذه المرة تشبه الصرخات الأنثوية، تبادل الجميع النظر للحظات، قبل أن يصدر أي رد فعل من أيٍ منهم أشار الجني بإصبعه إلى بداية الطريق، وعلى الفور توجهت أنظار الجميع إلى هناك، لمح الجميع من بعيد وعلى ضوء النيران المتراقصة المندلعة من جسد الجني جسدين يمشيان ببطءٍ بجوار بعضهما، أحدهما يترنح بينما الآخر يمشي ثابتًا منتشيًا، وعلى الضوء الخافت لمح الجميع الجسدين يقتربان بشدة، تبينوا أن الجسد المترنح هو جسد الفامبير بينما الجسد الآخر هو جسد فتاةٍ يرونها لأول مرة، اقتربت منهم الفتاة وتفحصتهم بنظراتٍ جريئةٍ قبل أن تتحدث: يوه، إيه الأشكال دي على المسا!

ارتعب الجميع من مظهرها المرعب الذي أضيف إليه نابان بارزان، حاول الفامبير التماسك والوقوف والزومبي يسنده، سأله الأخير بصوتٍ مرتعب: إيه.. إيه اللي حصل؟!

أشار الفامبير إلى مديحة بيدٍ مرتعشةٍ والإعياء يزداد على ملامحه: كنت.. كنت بحولها، مصيت دمها.

اختنق صوته وسعل بشدةٍ وهو يصرخ من بين سعاله: تسمم! تسمم!

نظرت الفتاة للجميع وقالت: أنا مديحة لا مؤاخذة، خطيبته.

فغر الجميع أفواههم بدهشةٍ نظرًا لأن الفامبير جديدٌ على هذا العالم، ولم يتحدث أمامهم في أي مرةٍ عن أي علاقةٍ من أي نوع. نظرت مديحة للجميع قبل أن تركز نظراتها على المذؤوب: إنت الرجل الكلب، أنا عارفاك!

نطق المذؤوب بلسانٍ ثقيلٍ من الدهشة: كلب!! حضرتك أنا ذئب مش كلب!

قاطعته بصوتٍ مرح: كلب.. ذئب.. سلعوة، كلكم شبه بعض.

تماسك الفامبير وقصّ عليهم القصة بأكملها، تعجّب الجميع من هذا الأمر بينما تركه الساحر حتى انتهى ثم قال بصوتٍ معاتب: مينفعش تدخل حد الفريق بدون إذني، كان لازم أعرف، عمومًا هي هتنفعنا كتير قوي، يلا نكمل، إحنا شبه وصلنا.

مشى الجميع في انتظامٍ تحت جناح الليل المظلم، بينما تأخر الفامبير وهو يستند على الزومبي، كان قد بدأ يتحسن واعتدلت قامته وإن صاحبته نظرة

اشمئزازٍ كلما رأى مديحة وهي تنظر للموجودات من حولها نظرة دهشة، وقف الساحر ثم التفت لهم وهو يقول: وصلنا.

فهم الجميع كلماته، فهموا كيف أن العنصر الأخير هو عنصر الحكمة، عنصر التاريخ، مُستقى من الحضارة، وقف الجميع أمامه بدهشةٍ وهم يتأملونه، آخر ما جال بخاطرهم أن هذا هو زميلهم، من كان يصدق أن أبا الهول هو العضو الأخير في الفريق!!

نظر الجميع لأبي الهول بدهشة، قبل أن تنطق مديحة متفردةً بلهجتها: إحنا هنجيب أبو الهول معانا؟!

نظر لها الساحر بدهشة قبل أن ينظر للزومي وهو يخاطبه: كنت مستني السؤال ده منك إنت تحديدًا، فات عليك ده!

رد الزومي بصوتٍ ضاحك: خلاص هاخد اللي بعده.

صفعةٌ قويةٌ على قفاه جعلته يصمت للحظةٍ قبل أن يستكمل: والله كنت بدأت أقلق، بقالكم فترة محترميني!

أشار لهم الساحر بالصمت بينما تقدم من أبو الهول ووقف أمامه يخاطبه، كان مشروع الصوت والضوء يعمل فبدا الأمر كأنه حوارٌ متبادلٌ بين أبو الهول والساحر، تابعه الجميع بأعينٍ داهشة، بدأ مخاطب أبو الهول

الحديث: سرك في حبه كلما أطلت عليه الذنوب استتر، كأن الرمال على جانبيك وبين يديك ذنوب البشر.

- أبا الهول، بحكمتك أستغيث، بأفكارك أستنير، ينفع كده يعني يا كبير؟!

- كأنك فيها لواء القضاء على الأرض، أو ديدبان القدر.

- يعني الزومي ماشي، الجن أخرس قشطة، مذووب خواف مايضرش، لكن مديحة ليه؟ وايه ديدبان دي كمان؟!

- فحدِّث، فقد يهتدي بالحديث، وخبِّر، فقد يكتسي بالخبر.

- غلبت معاهم كلام والله، لا بيسمعوا ولا بيفهموا بعيد عنك.

- هذا الزمان تحرك ما فيه، حتى الحجر.

- والله يا عم تعبت معاهم، دول عاملين زي شوية بقر.

ضحك الزومي: الله على السجع والحاجات الحلوة، شاعر ده يا خواتي ولا ساحر!

زجره الساحر بنظرةٍ حادةٍ فصمت، لقد حان دور أبي الهول للنطق والحديث: وفي كثرة الأسرار نيل، مشرق شعاع الشمس، مع كل فجر، فيُرمي الشرارة الأولى للنور.

تابع الساحر كلماته: وربنا إنت اللي منور، المهم كنت عاوزك في حوار.

- منذ بدء الزمان وأنا جالس هنا، أشهد كل طلوع شمس يراه الإنسان.

- بالظبط، إنت برنس، إنت قديم هنا وكلك حكمة، عاوزينك تبعتلنا حد من أتباعك.

- ساهرًا عليه، قريبًا منه، حتى لقد أضفى على وجهي، سمات الحكمة المصرية.

- أيوااااا، الحكمة يا ربس، شغلنا حد تبعك بقى يكون يُعتمد عليه كده.

توقف مشروع الصوت والضوء وعم الصمت على المكان، بدأ ضبابٌ رماديُّ اللون ثقيل يحيط بالموجودات، غطى الضباب كل ما حولهم، صعبت الرؤية عليهم، لم يعد أي منهم يرى أمامه شيئًا، بدأوا يشعرون بالدوار، كتموا أنفاسهم بقوة والضباب ينتشر، كانوا يشعرون بالشرّ يحيط بهم، لمح كلٌّ منهم ظلاً أسود ضخمًا يعدو بسرعةٍ في جانب أعينهم، اقتربوا من بعضهم البعض بقوة، وألصقوا ظهورهم بظهور بعضهم، كلٌّ منهم كان ينظر في اتجاه، صوت أنفاسهم اختلط بصوت دقات قلوبهم ليصنع سيمفونيةً مرعبةً كفيلةً بإيقاف قلوبهم هلعًا، سمعوا صوتًا قويًا يصرخ بقوة: كفى!!

على الفور وكأنما الضباب يطيع أوامر الصوت الغامض بدأ ينقشع، بدأوا يتلفتون حولهم في فضولٍ لاستطلاع الأمر، انقشع الضباب بأكمله ووضحت الرؤية تمامًا، نظر الجميع بدهشةٍ فلم يروا شيئًا، تبادلوا النظرات في دهشةٍ قبل أن يسمعوا ذات الصوت الجهوري يقول: بس، بس.. هنا يا حمقى.

نظر الجميع للأسفل بدهشةٍ ليجدوا قطًّا بشعًا لا يتجاوز حجمه الثلاثين سنتيمترًا، قطٌّ بدون فروٍ كأنما قد سُلخ قبل أن يأتي، جسده العاري نحيل، وعيناه خضراوتان، أنفه قصيرٌ بينما أذناه عريضتان كبيرتان، ليس له شوارب، ذيله نحيلٌ طويل، نظر الجميع للساحر في دهشة، آخر ما كانوا يتوقعوه أن يكون زميلهم قط، نظر الساحر لأبي الهول في عتابٍ وهو يقول: إنت بتهزر!! طب ابعت تمساح!! أسد، كلب، أقولك.. ابعت قط عادي، إنما ده!! ليه كده؟!

كانت مديحة أول من تحدث: أرنوبي!

نظر لها القط وقد اتسعت عيناه في دهشةٍ، قبل أن يقول: لست بأرنبٍ أيها الحمقاء.

فرد صدره واستنشق دفعةً قويةً من الهواء بعظَمَةٍ وهو يستطرد: أنا قط (أبو الهول). أنا عنصر الحكمة، أنا الـ...

سعل بقوةٍ نتيجة الهواء الملوث الذي دخل إلى صدره، بينما خاطبه الساحر بلهجةٍ واثقة: بص يا قط إنت، كلمنا زي ما بنكلمك، بلاش تعملنا فيها أبو بكر الحاوي.

- أبو بكر الحاوي!! أواهٍ على الجهل، الرازي أيها الجهلاء، أبو بكر الرا...

قطع جملته بمواءٍ حادٍّ متوجع، نظر للخلف فوجد المذؤوب يدعس ذيله بقوة وهو ينظر له بتعبٍ: كلّمنا عدل يا مشمش.

نظر له القط بغلٍّ وهو يقول: حاضر، من منظركم ده إنتوا يا فريق كورة، يا فريق مغفلين.

دعس المذؤوب ذيله في قوة، فصرخ القط قبل أن يقول بصوتٍ مليءٍ بالرجاء: فريق كورة!

دعسه مرةً أخرى فأجاب من بين صراخه: فريق في الجيش!

قال المذؤوب بغضبٍ من بين أسنانه: اسكت، اسمع، افهم.

رد الزومبي بصوت مرح: العب، اركض، اصرخ.

نظر له القط، ووجه حديثه للجميع: حد يضربه على قفاه عشان أنا مش طايله.

صفعة قوية أسكتت الزومبي بينما وجّه الساحر كلماته للقط وشرح له الأمر ببساطة ثم ختم كلماته بسؤال: معانا ولا إيه؟!

- معاكم يا شباب بس ليا ملحوظة، إحنا عددنا كبير، الأسهل إننا نتقسم فريقين، فريق مرعب وفريق يعرض الأمان على الناس، وبكده نضمن القوة والسيطرة.

صمت الساحر للحظةٍ وهو يفكر، قبل أن يقول بلهجة من أعجبه الأمر: حلو قوي ده، طب والتقسيمة يا مقطقط؟

نظر له القط بغضب وهو يقول: أولاً يستحسن تقولولي يا قط أو يا سفينكس، بلاش مقطقط ومشمش وأرنوبي دول، أنا قط محترم على فكرة، ثانيًا هقولك تقسيمة ظريفة، فريق الرعب هيكون مُكوّن من الفامبير ومديحة والزومبي والجني، فريق الأمان هيتكوّن من الساحر ومساعده والمذؤوب وأنا معاهم، قولتوا إيه؟

صاح الجميع بصوت واحد: اتفقنا.

بينما صاحت مديحة بصوتٍ خافت: يا أرنوبي!

-----

(٢)

(القاهرة)

بمجرد أن انتهى الجميع من إبداء الملحوظات والتعديل حتى وصلوا لخطّةٍ من وجهة نظرهم تكاد تكون شبه متكاملة، كانت الساعة قد قاربت السابعة صباحًا، تثاءب الجميع وتمططت الأجساد في محاولةٍ لطرد الكسل، نظر الجميع للساحر قبل أن يقول لهم: هنطلع على الشارع ناخد ميكروباص أو عربية مخصوص للتحرير، ومن هناك هنبدأ خطتنا عشان نحكم مصر، أول خطوة في طريقنا للمجد.

وبالفعل اتجه الجميع للشارع الرئيسي ووقفوا ينتظرون أي سيارة، حتى توقفت لهم سيارة بيجو، كانوا سبعة أشخاص بخلاف القط الذي حملته مديحة بين يديها، توقف السائق ونظر لهم قبل أن يقول: رايحين فين يا حضرات، وايه اللي إنتم لابسينه ده؟!

نظر الساحر للجميع ليلتزموا الصمت، قبل أن يوجه كلماته للسائق: رايحين التحرير وده لبس الهالوين.

-يا عمنا ما تلخبطناش، رايحين التحرير ولا السمبلاوين؟

-التحرير يا أسطى، والناس دي جاية من حفلة تنكرية.

-تمام، بالصلاة على النبي، كلكم تركبوا على راسي، إلا أخينا اللي مولع ده.

كان يشير بيده للجني الذي مازالت النيران تتطاير من حوله، قبل أن يضيف: بالصلاة على النبي كده يا يطفيها، يا يطلع يركب على الشبكة فوق، العربية لسه جديدة.

لم يجد الجني فائدةً تُرجى من مناقشته، خصوصًا وأن الساحر قد أمرهم ألا يتحدثوا طوال الطريق. صعد مطرق الرأس وهو يشعر بالخجل إلى سقف السيارة، وجلس متربعًا بهدوء. توزع الجميع بين كراسي السيارة في سرعة. جلس الساحر ومساعده في الخلف. في الكرسي الذي يقع في المنتصف جلس الڤامبير ومديحة والمذؤوب والقط الصغير، الذي جلس على قدمي مديحة وهو يدعو الله ألا يصيبه سوءٌ بين يديها. أما بجوار السائق فقد جلس الزومي وحيدًا. تحركت السيارة بالفعل. لم يمر إلا القليل إلا وقد نادى السائق بصوت جهوري عليهم: والنبي الأجرة مع بعض كده. وادوها للـ...

نظر للزومي محاولاً اكتشاف ماهيته، قبل أن يتم جملته: ادوها للي قاعد جنبي ده أيًا كان.

ربّت الساحر على كتف المذؤوب وهو يناوله ورقة نقدية: اتنين ورا.

نظر له المذؤوب بدهشة: مالهم؟

- اديله أجرة اتنين ورا.

- آه، تمام.

أخرجت مديحة عملةً ورقيةً من حقيبتها، ولم تنس أن تصدم رأس القط الغافي على قدميها بحقيبتها، ليستيقظ فزعًا وهي تُعطي للمذؤوب أجرتهم بأكملها. تناول المذؤوب منها النقود وأعطاها للسائق بربتةٍ خفيفةٍ على كتفه.

مرّ الوقت سريعًا ووصل السائق إلى محطتهم، فتوقف بجانب الطريق ونزل الجميع من السيارة.

نظر الجميع في دهشةٍ إلى ميدان التحرير الذي تحول لثكنةٍ عسكرية. مشى الساحر ومن خلفه المجموعة وهو يقترب من إحدى البوابات ينوي دخول ميدان التحرير، إلا أن جنديًا من جنود القوات المسلحة استوقفه: رايح فين؟!

- داخل.

- داخل فين؟!

- داخل الميدان.

- معاك تصريح؟!

- تصريح؟! هو أنا عشان أدخل الميدان لازم تصريح؟

- لازم تصريح، وإخطار لقوات الأمن. تحديد الشوارع اللي هتمشوا فيها. تحديد أعداد المتظاهرين. تحديد الهتافات. تحديد وسائل الفض. وتحديد وسائل منع الحمل.

- تحديد وسائل منع الحمل؟!!

- آه، ما إنت لو دخلت واتغابيت، الداخلية هتـ...

قطع الجندي كلامه لأن الضابط المسؤول عنه قد ناداه بلهجةٍ آمرةٍ عسكرية، تركهم وتوجه لتلبية ندائه، وما إن وصل حتى شدّ قامته وأدّى التحية العسكرية في قوة، واندمج في حديثٍ مع الضابط، بحث الجميع بأعينهم عن أية ثغرةٍ من الممكن أن يستغلوها للدخول إلا أنهم لم يجدوا، فكّر الساحر للحظاتٍ قبل أن تلتمع عيناه، مشى الساحر بخطواتٍ واثقةٍ حتى وصل لمكانٍ منعزلٍ بعض الشيء، وقف على الرصيف بحيث كان أعلى منهم ولو ببضع سنتيمتراتٍ قليلة، واجههم وهو ينظر لهم: دلوقت أول جزء من مهمتنا الحقيقية، الفريق المختص بالرعب يبدأ يتحرك، هتدخلوا على قوات الأمن وهتخوفوهم، لو جروا هنستولي على سلاحهم، ماجروش لازم نتصرف، هنحتل ميدان التحرير ومنه هنحتل مجمع التحرير، وهنبدأ نحتل الأماكن الحيوية والوزارات لحد ما نستولي على مصر، ساعتها هـ...

قاطع كلماته شخصٌ يحمل رتبةً عاليةً على كتفيه، ينتمي لإحدى الجهات الأمنية، دخل ذلك الزقاق الذي يجتمعون فيه، تجاهلهم كأنهم غير موجودين، قبل أن ينتحي جانبًا بجوار أحد الجدران ويمارس إحدى مهماته الحيوية، والجميع يراقبونه بدهشة، وقبل أن يخرج من الشارع نظر تجاههم وهو يقول: إنتم هنا من إمتى؟!

- من أول نقطة حضرتك.

- طب بتعملوا ايه هنا يا خفيف؟!

- ما بنعملش حاجة سعادتك.

- إيه اللي إنتم لابسينه ده؟!

- مش لابسين حاجة سعادتك، قصدي دي حفلة تنكرية.

نظر الساحر للمذؤوب وأمره بإشارةٍ خفيةٍ أن يتصرف ويخيف المسؤول، زأر المذؤوب بوحشيةٍ في وجه الرجل، نظر له الرجل ببرودٍ بعد أن انتهى، وقال له بصوتٍ غاضب: إيه الريحة القذرة دي؟ إنت واكل إيه على الصبح؟!

قبل أن يرد المذؤوب أخرج الرجل من جيبه جهاز لاسلكي يشبه كثيرًا الموجود معهم، وضغط عدة أزرار فيه ثم تحدث: كود ١٥٢، كود طوارئ ١٥٢.

لمحت المجموعة عددًا كبيرًا من الجنود والضباط الذين ينتمون لنفس الجهة الأمنية التي ينتمي لها الضابط، قبل أن يشعروا بهم يضربونهم بقوة، واسودت الدنيا أمام أعينهم.

وقف الجميع أمام أحد أفراد الشرطة في قسمٍ لا يعلمون اسمه، كانت أجسادهم متورمةً من كثرة الضرب، بينما كان عددهم ينقصه اثنان، مديحة التي تُستجوب الآن أمام ضابطٍ آخر، والقط الذي نجح في الفرار، وقف الضابط أمامهم ووجّه لهم الكلام بصوتٍ غاضب: يعني بطايق معاكوش، أساميكم مش عارفين، بتعملوا إيه ما بتقولوش، للأسف مضطرين نتحفظ عليكم لحد ما حد ييجي يضمنكم.

تحدّث الساحر بصوتٍ مُجهد وهو يقول: يا فندم أنا معايا بطاقة ومستعد أضمنهم بيها.

ضحك الضابط بشدّة وهو يقول من بين ضحكاته: إنت بالذات حكاية، هموت وأعرف مين اللي ضاربلك البطاقة دي، قال إيه المهنة ساحر!!

- طب وربنا سعادتك أنا ساحر

- طب طلعلي أرنب من ودنك، بلاش، طلعلي حمامة من مناخيرك، أقولك، طلع أي كائن حي من أي فتحة في جسمك وأنا همسيبك.

- أرنب من ودني!! احبسني يا باشا، أنا أصلاً ساحر ودول وحوش وجايين نحتل الأرض، احبسني.

قال له الضابط وهو يبتسم: الله!! دا إنت لذيذ بقى، طب عشان اللذاذة دي هخليهم يوصوا مؤمن عليك.

تحدث الزومي بهدوء: الله، بحب سندوتشاته قوي يا باشا.

قاطعه أحد المخبرين بصفعةٍ قويةٍ على قفاه، نظر له الزومي بغضبٍ قبل أن يصرخ: لأ، أنا زومي محترم، محدش يضربني على قفايا إلا زمايلي وأي حد تـ...

قاطعه المخبر للمرة الثانية بصفعةٍ أقوى من الأولى، سكن الزومي قبل أن يقول بصوتٍ منكسر: زمايلي وسيادتك والباشا اللي قاعد هناك، إحنا خدامينكم يا بيه.

نظر لهم الضابط بغضب وهو يقول بنبرةٍ آمرة: حد منكم عنده أقوال أخرى عاوز يقولها؟ لأ، ارميهم في الحجز يا خليفة، دا أنا هطلع عينيكم!

خاطبه الزومي مرةً أخرى: هنطلع عينينا، يبقى تنزل صلاح..

جذبه المخبر من قفاه وهو يجرهم جميعًا، قبل أن يفتح باب غرفةٍ قديمةٍ مظلمة ويلقيهم بداخلها ويغلق بابها المعدني بقوةٍ من خلفهم، الباب المعدني الذي كُتبت عليه كلمةٌ واحدةٌ بلونٍ أحمرٍ قانٍ يُخيّل لك أنه دمٌ جاف.. غرفة الحجز.

كان الضابط ينظر لمديحة قبل أن ينظر في ملفٍ ضخمٍ أمامه، ثم ينظر لمديحة مرةً أخرى، استغرق بعض الوقت في تصفح بضع صفحات في الملف قبل أن يغلقه، نظر لها وهو يقول بهدوء: مديحة عبد النبي الجحش، ٣٠ سنة، مسجلة، ١٣٢ قضية دعارة، ٣٣ قضية سرقة بالإكراه، ٣٣ قضية نصب، ٤٤ قضية نشل، ٧١ قضية سرقة سيارات، ١٢ قضية إتجار بالمخدرات، ١٣ قضية تعاطي، وقضية انتحال شخصية.

ابتسمت مديحة وهي تهزّ رأسها برفق: آه، كنت منتحلة شخصية واحدة محترمة واتقفشت.

- إيه يا مديحة؟!

- إيه يا باشا؟!

- إنتي في حاجة غلط معملتهاش؟!

- آه يا باشا، معنديش قضايا خيانة زوجية بس ليا عذري، مكنتش لسه اتجوزت، بس أوعدك محاول.

صرخ الضابط بغضب: اتلمي يا بت، وايه فرقة المهرجين اللي كنتي جاية معاهم دول؟

نظرت له مديحة بابتسامة وبدأت تعدّ على أصابعها: دا ساحر، ومساعد ساحر، ومذؤوب، وفامبير، وزومبي، وجني.

نظر الضابط لمساعده وقال له: اكتب عندك: ده شاهر، ومساعد شاهر، وتعلوب، والصفير، واللمي، وعبد الغني.

- لا يا باشا، إنت قلتهم غلط، إلا صحيح القط جه؟!

- قط وتعلوب، إيه الدماغ اللي طالبة معاكي حيوانات دي يا بت؟

- والله يا باشا ما عاملة أي دماغ، أنا لو عاملة مخي يعني؟!

نظر لها ثم ظهرت عليه إمارات التفكير، قبل أن يقول لها بصوتٍ ماكر: إنته متدربين فين يا بت؟! في أوكرانيا؟!

- أوكرانيا دي بعد عين الصيرة يا بيه؟

- لا يا خفيفة، بعد يوغسلافيا البلد، تالت شارع بعد عزبة النمسا. ارميها في الحجز يا بني لحد ما تعرف تتكلم.

شعرت مديحة بيدٍ عملاقةٍ تحملها من قفاها، ارتفعت قدماها عن الأرض، حملها المخبر حتى باب الحجز، فتح باب الحجز وألقاها بالداخل، وقفت مديحة تتأمل المنظر الموجود أمامها بعينين متسعتين من الدهشة. آلاف السيناريوهات قد مرت في رأسها إلا هذا السيناريو، آخر من توقعت أن تراه هنا والآن!! اتسعت عيناها بدهشةٍ وفغرت فاها وهيَ لا تقدر على التحدث، قبل أن تسمع صوت القفل يُغلق لينبهها أنه لا مفر، لم يعد هناك أي مفرٍ من المواجهة.

=====

خرج القط برأسه من خلف صندوق القمامة وهو يتلفت حوله، اطمأن أن الجميع قد رحلوا، نظر حوله وهو يتأمل الشارع الفارغ، حدّث نفسه بصوت عالٍ: حمقى، معرفوش يهربوا.

سمع صوتًا يقترب من خلفه، نظر فوجد قطًا وقطةً يقتربان، القط يمشي بجوار القطة وهو يحدثها بصوتٍ منخفض، توقفت القطة للحظات وهي تنظر له قبل أن تقول لمرافقها: إنت قلتلي إنك لوحدك، مقلتليش إنك جايب حد!!

- وهو أنا لو معايا حد مش هقولك يعني؟! معرفوش، وحياة سيدي القطقوط ما أعرفه.

نظر لهم القط الحكيم بدهشةٍ قبل أن يقول: إنتم مين وأنا إزاي فاهمكم؟!

نظر له القطّ المشرّد وهو يكشف عن أنيابه: إنت جاي تندهش هنا؟! بتعمل إيه هنا. انجز!

قاطعته القطة بصوتٍ أنثوي: سيبه، دا عاجبني، عارف. بفكر أخليه يدوس معاك.

نظر لها القط وقد بدأت ملامحه تلين: عندك حق. هو شكله غلبان. بس أنا الأول عشان نبقى متفقين.

ضحكةٌ قططيةٌ صدرت منها وهي تقول بلهجةٍ ذات مغزى: ما كله هيدوس. متقلقش. هكفيكم.

نظر لهم القط الحكيم بدهشةٍ قبل أن يقول: إنتم بتقولوا إيه يا سفلة يا واطيين!!

جرت القطة خلف صندوق القمامة وعادت تجذب بأسنانها سمكةً ضخمةً، وهي تقول له: هناكل. أمال إنت كنت فاكر إيه؟!

احمرّ وجه القط الحكيم وهو يقول: ما كنتش فاهم حاجة. يلا ناكل بس وبعدين احكيلكم الحكاية من طق طق لسلامو عليكم.

نظر له القط بدهشة: طق طق مين؟! ما علينا. خلينا ناكل الأول.

انقضّ الجميع على السمكة وهم يأكلون بشهيةٍ مفتوحة.

*****

بمجرد أن دخل الجميع إلى الحجز وقفوا يتأملون الموجودين بالداخل. كان الموجودون بالداخل هم المعنى الأمثل للرعب. أن تجتمع بأحدهم في الشارع لهو أسوأ كوابيسك. أن تجتمع بهم جميعًا وبداخل غرفةٍ مغلقةٍ وبلا أمن أو حماية، لهو رعبٌ لا يوصف! جال الساحر بعينيه وتأملهم. منهم من شقّ وجهه بعنفٍ منذ حين. ولكن الأثر لم ولن يزول. ليترك ندبةً مخيفةً على جانب وجهه. منهم من اختفت إحدى عينيه في معركةٍ غادرة وتركت مكانها أجوف بشعًا. أحدهم قد اختفت إحدى أذنيه. كان الضوء الصادر عن نيران الجني يتراقص فيُضفي المزيد من الخيالات والأوهام. في هدوءٍ تقدم أحد الجالسين. كان أبشعهم. تراقصت الظلال على وجهه لتُخفي عددًا كبيرًا من الندبات. إحدى عينيه قد تشبّعت بمسحةٍ بيضاء أخفت سوادها. شعره أشعث. معقوف الأنف. اسودّت شفتاه من كثرة السجائر. وقف أمامهم. رعدةٌ خفيفةٌ سرت في جسد الجميع. جال بنظراته بهم جميعًا قبل أن يتوقف عند الجني. نظر له للحظةٍ قبل أن يقول: منور يا ابن عمي.

ضجّت الزنزانة بالضحك. قبل أن يسود الصمت إثر إشارةٍ أشار بها الرجل. يبدو أنه الزعيم هنا. هو الحاكم الآمر. نظر لهم قبل أن يقول: هتدفعوا ولا هتشتغلوا؟!

نظر له الساحر بدهشة قبل أن يقول: هندفع إيه؟!

- يبقى هتشتغلوا.

جذبهم واحدًا تلو الآخر ليلقيهم أرضًا ليتأمل كلٌّ منهم الأرضية المتسخة والركن الذي يُستخدم كدورةٍ للمياه، قبل أن يظهر الاشمئزاز على وجوههم، نظروا للساحر في استجداء، وجّه الساحر كلماته للزعيم وهو يقول: ندفع إزاي؟!

- سجاير، برشام، مية، تذاكر.

- معايا تذكرتين ماتش الأهلي والاتحاد، إنما إيه مقصورة!

نظر له الزعيم بغضبٍ وهو يقول: تذاكر هيروين يا خفيف.

- هيروين مخدرات!!

- لا هيروين مقويات.. طبعًا مخدرات!

- طب أنا معايش، بس لو فيه تليفون ممكن أكلم ابن عمي يجيب ويجي.

أخرج الزعيم هاتفًا محمولاً صغيرًا من جيبه وهو يعطيه للساحر ويقول: معاييش رصيد، ابعتله كلمني شكرًا وهو يتصل.

ضربت أصابع الساحر رقم ابن عمه قبل أن يعطي الهاتف للزعيم ويسود الصمت للحظات، صوت إشعارٍ بقدوم رسالةٍ نصيةٍ لهاتف الزعيم شقّ الصمت، نظر الزعيم للهاتف بدهشةٍ قبل أن يقول للساحر: إنت بعتله إيه؟

- بعتله كلمني شكرًا.

- هو بعتلك.. كلمني إنت، ألف شكر.

ظهر اليأس على وجه الساحر وهو يقول: طول عمره بخيل، مفيش أي طريقة نعرف نتعايش بها هنا من غير ما نتضف؟

أجابه الزعيم بابتسامةٍ ماكرة: لا مفيش يا حبيبي، للي بقى الشباب بتوعك دو...

نظر الزعيم بدهشة، أحصاهم مرةً تلو الأخرى، هناك اثنان ناقصان، أخذ يعدّهم مرةً تلو الأخرى في توتر، نظر للساحر وهو يسأله: إنتم كنتم كام واحد؟!

- أعتقد كنا ستة.

- أمال إنتم أربعة ليه؟!

نظر الساحر لمجموعته بجزعٍ ليجد أن هناك فعلاً عضوين ناقصين، أحصاهم بنظره، مساعده والمذؤوب موجودان، والقاميز أيضًا موجود، الزومبي والجني اختفيا، بدهشةٍ وتوتر بدأوا ينظرون لبعضهم البعض قبل أن يفهم الساحر، ضيّق عينيه في تركيزٍ شديدٍ وهو يتمتم بكلماتٍ غير مفهومة، لم تمرّ لحظات حتى ظهر الجني وهو يقف بجوار الباب، نظر الجميع للساحر الذي نظر للجني وهو يقول: عامل ناصح وبتختفي، على مين، عليا أنا؟!

نظر له الجني بخجلٍ وهو يقول له: آبا، آبا آبا، آبو آبو..

- آبو آبو إيه؟! إنت هتشرحلي؟! والمهزق التاني فين، اطلع يا زومبي يا حبيبي وأنا هخلي عمو المذؤوب يديك على قفاك.

ظهر الزومي من ركنٍ بعيدٍ مظلم كان يتخفى فيه، وقف بجوار المذووب وهو يقول: أنا جيت أهو بس سايق عليك النب...

قاطعه المذووب بصفعةٍ قويةٍ على قفاه، نظر له الزومي قبل أن يصافحه وهو يقول: حبيب قلبي.

نظر الساحر للزعيم وقال له: طب أنا عندي فكرة.

- قول وانجزني.

- إيه رأيك لو نعمل مع بعض اتحاد ويكون بينا وبينكم علاقة جـ...

- أبوااااا!!! العلاقات دي مطلوبة جدًا هنا، الرجالة من زمان مخرجتش.

- علاقة جادة، جادة.

ظهرت خيبة الأمل على الزعيم قبل أن يقترب منه الساحر ليهمس له بكلماتٍ التمعت عينا الزعيم لها في نشوةٍ عجيبة، وظهرت في عينيه نظرة رضى وهو يتمتم: من ورا شغال برضه.

صرخ الزومي بفزع: إنتم بتقولوا إيه!! علاقة إيه وورا إيه بس؟!

صاح به الزعيم بلهجةٍ آمرةٍ بصوتٍ قويٍ: وطي صوتك، هتودينا في داهية. إنت دماغك دي إيه! بهدوء كده.

اقترب منه وهو يهمس بصوت خافت: إحنا هنحفر نفق من هنا نهرب بيه.

- ابقوا وضحوا كلامكم، وقلقتوا قلبي، هنبدأ إمتى؟

- من دلوقت لو تحبوا.

اتجه الجميع إلى خلفية الزنزانة المظلمة، بينما تبقى رجلان لحراسة الباب حتى لا يفاجئهم الضابط أو الجنود.

******

رعدةٌ خفيفةٌ مرّت في جسد مديحة، قطرات العرق البارد تجمعت على جبينها، ارتعشت عيناها، لم تُصدّق ما تراه، صرخت بقوة، صرخةً قويةً تصمّ الآذان، وواجهتها من الجهة المقابلة لها صرخةٌ أخرى دوت في الزنزانة بأكملها، قبل أن تجري مديحة بلهفة، جرت لتحتضن الفتاة القبيحة التي تقف في مواجهتها، اندمجت الفتاتان في حضنٍ كبيرٍ يتخلله العديد من القبلات التي يدوي صوتها بفرقعةٍ عالية، قبل أن تنتحيا جانبًا، جلستا متجاورتين وبدأ بينهما حوارٌ من نوعٍ خاص:

- يخرب عقلك يا بت يا مديحة، فينك يا بت؟

- الدنيا بقى يا حبيبتي.

- مالها دنيا؟!

- دنيا مين يا بت؟! الدنيا اللي إحنا عايشينها.

- قطيعة يا مديحة، أخبارك إيه احكيلي؟

- أبدًا يا ختي. اليومين دول، كلام في سرّك كده، على وش خطوبة.

- مبروك يا مديحة يا ختي، بيشتغل ايه؟

- قامبير.

- إيه!!

- رجل أعمال. بس إنما إيه، حاجة كده تفرح، عقبالك يا ختي.

- ملهوش أخ يا بت؟!

- لا يا حبيبتي، دا وحيد متوحد فريد.

- وحيد ولا فريد؟! متاكليش دماغي!

- وانتي يا بت يا سمر، أخبارك إيه؟

- فاكرة الواد عبده الحرامي؟

- آه، اتجوزتيه، واد ابن حلال وكسيب وشكله يفرح ويشرح القلب.

- لا طبعًا.

- أحسن حاجة يا بت، دا عيل ابن كلب وشكله يقطع الخميرة من البيت، ماله؟

- خطبني.

- والله واد ابن حلال مصفي وانتي تستاهلي كل خير، انسي اللي أنا قلته خالص.

- نعم نعم يا ختي؟ أنسى ده إيه، عليا النعمة لأطلع عينك!

قامت الفتاتان والتهبت الأعصاب في انتظار معركةٍ حامية الوطيس بين الفتاتين، إلا أن صوتًا خافتًا قاطعهما من الشباك: بس، بس، بت يا مديحة.

- مين؟!

- أنا القط الحكيم.

- متنط على حكيم إزاي لا مؤاخذة؟!

- بخربيت دماغك، يا بت القط، القط بتاع أبو الهول.

- عاوز إيه يا اسطى؟

- استعدي عشان ههربك، وبعدين هنهرب الرجالة.

ضحكةٌ رقيعةٌ اندلعت بعنفٍ من وسط الزنزانة، وتبعها صوت امرأةٍ تقول بغنج: طب ما تفتحوا الزنزانتين على بعض ويبقى زيتنا في دقيقنا.

قال القط بصوتٍ ساخط: يالا يا قنرة!

*****

ساعاتٌ قد مرّت وقد اقترب النفق من النهاية، كان الرجال منهمكين في الحفر، بينما وقف الساحر والزعيم يراقبان العمل وهما يشجعان الرجال الذين يعملون بهمةٍ عالية، حلم الحرية قد اقترب، نظر الزعيم للساحر وهو يقول: شامم ريحة الشمس والحرية من هنا.

- لا مؤاخذة يا ريس على الريحة، بس واكل بسطرمة ومقدرتش أمسك نفسي.

- الله يقرفك، قولي هو الأخ اللي مطلع تارده بطلع إيه؟

- دا جني.

- جني!! بتوع السبع أغنيات وكده؟

- لا مش هو، وعلى فكرة هما تلاتة، وأماني مش أغاني.

هجم عليه الزعيم وهو يخاطبه بغلظة: مالك ومال أمي ياض؟

- أمك مين يا عم؟!

- أماني!! تعرفها منين؟

- أنا قصدي أمنيات يا عم.

- ابقى وضح كلامك يا ابن والدي.. سامحني.

قاطعهما صوت المذؤوب وهو يصرخ بقوةٍ من داخل النفق: وصلنا.

في نفس اللحظة انتهى الرجال من الحفر، ظهرت نهاية النفق، ظهر الضوء، تنفس الجميع نسيم الحرية، بدأ الرجال يصعدون النفق أحدهم تلو الآخر، استمر الوضع لدقائق، لم يعد هناك في الزنزانة سوى الزعيم والساحر ورجلا المراقبة، أشار الزعيم للمراقبين أن يدخلا النفق، راقبهما حتى اختفيا قبل أن يتجه لغطاءٍ صغيرٍ من الواضح أنه يستخدمه كفراش، جمعه في حنانٍ قبل أن يشير للساحر، فأشار له هذا الأخير أن يتقدمه، تقدم الزعيم وهو يزحف في النفق ببطءٍ وكأنما يودع الزنزانة، وصل أخيرًا إلى بداية النفق وهو مغمض العينين، أخذ نفسًا طويلاً وتشبّع صدره بنسيم الحرية، أخيرًا بعد سنواتٍ من القمع والسجن، سنواتٍ من تقييد الحرية.. قبل أن يصعد وهو مغمض العينين، يستمتع بكل لحظةٍ وكأنه يتذوقها، يتركها لتذوب كي لا ينسى مذاقها الساحر، وصل الساحر للنفق وقد اقتدى به، أغلق عينيه وهو يستمتع بمذاق الحرية برغم أنه لم يمر على سجنه إلا القليل، فتح الاثنان عينيهما في وقتٍ واحد، تبدلت ملامحهما من الاستمتاع للدهشة في آنٍ واحد، ما يريانه الآن، بل ما يراه الرجال بأكملهم: هو آخر ما توقعوه، لقد فاق الواقع أشد كوابيسهم سوادًا وقسوةً، تمنى الجميع لو أنهم يعيشون حلمًا الآن وأن يستيقظوا منه فزعًا، تسمّر الجميع في دهشةٍ ممزوجةٍ بالخوف، توقفت القلوب عن الدق للحظات وساد الصمت على الموقف بأكمله وأعينهم متعلقةٌ فيما أمامهم لا تطرف ولا تهتز.

*****

اقتربت مديحة من الشباك لترى القط الحكيم وهو يقف أمامها بين قضبان النافذة، نظرت له نظرة امتنانٍ وقد اغرورقت عيناها بالدموع، وهي تخاطبه

بصوتٍ متهدج وقد اقتربت من البكاء: معقولة؟! أنا مش مصدقة نفسي؟! إنت آخر واحد كنت أتخيل إنه يعمل معايا كده! سايب الشباب وجايلي؟! إنت أصيل قوي والله العظيم.

قاطعها القط بصوتٍ مليءٍ بالاستنكار: أصيل إيه؟! اتنيلي على عينك، أنا دخت عليهم ملقيتهمش. إنتي الأمل الأخير. أنا هقولك على تعويذة تقوليها ورايا تتحولي راجل، وقدامك ربع ساعة قبل ما تتحولي تاني، أول ما تتحولي تصرخي وتندهي على الحارس: هيخرجك يوديكي سجن الرجالة، وهناك اتفقي مع الشباب إزاي هتهربوا.

اقتربت منه فهمس لها بالتعويذة السحرية، هزت رأسها في دلالةٍ على استيعابها للأمر، نظر لها القط بشك فنظرت له بنظرةٍ تطمئنه، نظر لها بقرف فنظرت له بحزن، تركها ومضى، مشت في وسط الزنزانة وسط السيدات اللاتي خشينها قليلاً بعد أن رأوها تُحدّث قطًا قبيح الهيئة، اقتربت من الباب ببطءٍ وهي تنظر لهم، وقفت بجوار الباب، بدأت تتمتم بصوتٍ غير مسموع، دخانٌ كثيفٌ أزرق اللون بدأ يظهر من حولها ويغلّفها، بدأت تشدو التعويذة بصوتٍ يعلو بالتدريج وبدأ صوتها يتحشرج، بدأ الدخان يزداد كثافةً وهو يغطيها بأكملها، بينما الفتيات يراقبنها بهلع، صوتها يعلو وهي تتمتم بتعويذةٍ غريبة، صوت ضحكاتٍ شيطانيةٍ يتردد في المكان، المصباح الصغير المثبّت في سقف الزنزانة يتذبذب ضوءه بسرعةٍ وعنف، وكأنما يشاركهم خوفهم..صوت الضحكات ازداد للحظاتٍ قبل أن يصمت، بدأ الدخان ينسحب بالتدريج وينقشع الضباب لتتضح الرؤية، تحولت مديحة القبيحة الحولاء لشابٍ يرتدي ملابس رجاليةٍ يقف أمام الجميع ممشوق القوام، طويلٌ وقويّ البنية

إلا أنه كان أشد قبحًا، مدّت مديحة قبضتها وقررت أن تختبر قوتها فدقت على باب الزنزانة بقوةٍ قبل أن تحوّل نظراتها للجمع الذي وقف يراقبها بأعينٍ متسعةٍ من شدة الهلع، لحظاتٌ مرّت ولم يحدث أي رد فعل، دقت بيديها على البوابة الحديدية مرةً أخرى، حضر الجندي المسؤول عن الحراسة بعينين ناعستين وخطواتٍ متثاقلة، نظر لها بدهشةٍ قبل أن يطير النوم من عينيه ربما للأبد، وهو يصرخ بلهجته الصعيدية المحببة: إنت بتعمل إيه عندك في زنزانة الحريم؟

نظرت له مديحة بعينين مليئتين بالقوة والتحدي، قبل أن تدور بعينيها مرةً أخيرةً على جمع السيدات اللاتي تراجعن في خوف، قبل أن تفتح فمها وتنطق بكلماتٍ مليئةٍ بالثقة والقوة والأنوثة: إنت دخلتني هنا غلط.

فوجئت مديحة وفوجئ الكل بنبرة الصوت الأنثوية التي خرجت من بين شفاه ذلك الفتى الشديد الصلابة، عاصفةٌ من الضحك سادت في الزنزانة شاركهم فيها الجندي الذي فوجئ مثلما فوجئ الجميع، ظهر الخجل على وجه مديحة واحمرت عيناها وكأنها على وشك البكاء، قبل أن يبادرها الجندي بالسؤال: أنا مدخلتش رجالة هنا، أنا لازم أفهم إنت دخلت هنا إزاي؟

فكرت مديحة للحظاتٍ في هذه الورطة التي لم تكن في حسبانها، قبل أن يتفتق ذهنها عن فكرةٍ مجنونة، نظرت له وحاولت أن تضخّم صوتها قليلاً: أنا الراجل الست، بيقى راجل ساعات وست ساعات!

- ست ساعات!! طب وباقي اليوم؟

- لا مش قصدي، قصدي بيقي راجل أحيانًا وست أحيانًا.

- أنا أول مرة أسمع عن الموضوع ده، بص دلوقت الظباط مش فاضيين، أنا هاخدك أرميك في الزنزانة الرجالي، ولما أعرضك على حضرة الظابط ابقى اشرحله بمعرفتك.

عالج القفل بالمفتاح الذي يحفظه جيدًا، فتح البوابة وأمسك بمديحة من طرف بنطالها الرجالي وجذبها بعنف، توقف أمام الزنزانة الخاصة بالرجال قبل أن يتثاءب بعنف، لتضيق عيناه بشدةٍ وهو يفتح الباب ويُلقي مديحة بالداخل ويغلق الباب من خلفها دون أن يلقي أي نظرةٍ عليها أو على الزنزانة، التي بدت أمام عيني مديحة خالية. اتسعت عينا مديحة بهلعٍ وهي تشعر بالدخان يحيط بها مرةً أخرى، هذه المرة سعلت بقوة وهي تُراقب الزنزانة الفارغة أمامها وتحاول أنْ تستوعب ما حدث. أغشى الضباب بصرها فاسودت الدنيا أمام عينيها، لأول مرةٍ في حياتها تشعر بهذا الهلع، لقد أصبحت وحيدةً وفي قبضة الأمن.

*****

كان المظهر في تلك الغرفة جديرًا بتصويره ليُخلد في تاريخ اللحظات الأكثر دهشةً ورعبًا في تاريخ البشرية. فريقان من الرجال كل منهما ينظر للآخر نظراتٍ مليئةً بالرعب والدهشة، لا يستطيع أي شخصٍ منهم أن يتبادل النظرات مع أيٍّ من أعضاء فريقه. وقفت القلوب وساد الصمت على المكان حتى ليخيل لك أنه مشهدٌ سينمائيٌّ قد توقف، أو أن ما تراه هو لوحةٌ رُسمت بيد فنانٍ بارع المهارة حتى لتكاد تضاهي الواقع. إلا أن ما يعيبها أن تلك

النظرات لا وجود لها في الواقع. أول من تحرك كان الساحر، نظر حوله بجزع وهو يحاول التأكد مما يراه، نظر للزعيم وباقي الرجال في دهشة، نظر للفريق المقابل، كان يعرف جيدًا ما يشعرون به، تخيّل أنك ضابطٌ بمديرية أمن القاهرة، أنهيت جزءًا كبيرًا من عملك ودخلت إلى استراحة الضباط لتحتفل بعيد ميلاد أحد زملائك، أشعلت الشموع ووقفت بجواره تتمنى له سنةً سعيدةً وعامًا جيدًا قبل أن تسمع صوتًا خافتًا يتحوّل لحفرةٍ أمامك، تحديدًا ترى المساجين يصعدون منها واحدًا تلو الآخر، كانوا يخططون للهرب إلا أن خطتهم قد باءت بالفشل ربما لحسن حظ الضباط وربما لسوء حظهم. وقف فريق الضباط الذي أشهر أسلحته في تأهبٍ أمام فريق المساجين الذي يواجه أبشع كوابيسه وهو يتأمل الضباط. الصمت ما زال يعمّ المكان بأكمله قبل أن يقطعه صوت الزومبي المرح وهو يقول: الله، تورتة، شوف يا أخي الداخلية مش زي ما بيقولوا عليها، عرفوا إننا هنهرب جابولنا تورتة وبيحتفلوا بينا!

بادره أحد الضباط بصفعةٍ قويةٍ على قفاه، فصمت وهو يشير بإبهامه للأعلى في إشارة للاستحسان وقد أطبق شفتيه، تحرك الضباط في سرعة، دفعوهم حتى وصلوا للحائط. أمر الضباط الجميع بمواجهة الحائط وعدم التلفُّت، انصاع الجميع للأمر، لم يكن احترامًا للضباط فهو خوفًا من السلاح المُشهر في وجوههم جاهزًا للإطلاق عند أي محاولة للتصرف، ناهيك عن الأعصاب المتوترة، اختار الجميع الحلّ السلمي واستداروا ليواجهوا الحائط، إلا الزعيم والساحر اللذين حاولا أن يصلا لحلٍ وديٍّ مع قوات الأمن الغاشمة تلك كي لا تزداد عقوبتهما، نظر لهم الضابط الذي كان يستجوبهم عندما أتوا إلى القسم

بغضب، قبل أن يوجه نظراته للساحر وهو يخاطبه بلهجةٍ حملت عنفًا خالصًا: كنتوا عايزين تهربوا ياض؟

- لا يا باشا، إحنا اتخنقنا قلنا نيجي نحتفل معاكم بعيد الميلاد ده، كل سنة وانتم طيبين يا باشا.

- مالكش دعوة، وبعدين إنت مكملتش يوم في الحبس وعاوز تهرب؟! فهمهالي دي!

- خلاص يا باشا، إحنا آسفين، بص إحنا هنرجع ويا دار ما دخلك شر، ومش هنعمل كده تاني، يالا يا رجالة.

أنهى كلماته وهو يتجه نحو النفق الذي ظهرت نهايته واضحةً جليّةً في منتصف أرضية استراحة الضباط، قبل أن يناديه الضابط بغضب: خد ياض، إيه اللي معتش هنعمل كده تاني دي؟

- أوعدك هنفقد الأمل، يالا يا رجالة.

- يا بني خد الله لا يسيئك، أمل مين بس اللي هتفقدها، إنت فاكر الموضو...

قطع الضابط كلماته وهو يتأمل نهاية النفق الذي ظهر منه نصف جسمٍ سفليٍّ بأكمله، إلا أن قدمًا واحدةً فقط هي التي ظهرت قبل أن تبتعد تلك القدم لتظهر رأسٌ صغيرةٌ مبعثرة الشعر تنظر في دهشةٍ مراقبةً الوضع. ارتبكت مديحة عندما رأت الضابط ينظر لها فحاولت الهرب، سحبت قدمها من النفق إلا أن وسطها كان لايزال ظاهرًا، يد خرجت من جوارها قبل أن

تختفي وتظهر رأسها مرةً أخرى. نظر الضابط لزملائه الأقل رتبة منه: طلعولي العرسة دي.

ساعدها الضباط على الصعود، ووقفت خائفةً أمام الضابط الذي خاطبها بلهجة من ارتفع ضغطه ووقف على شفا جلطةٍ قد تودي بحياته: إزاي عملتي كده؟

خاطبته مديحة بصوتٍ ظهر عليه الخوف:

لباقة، رشاقة، أناقة.

- يا بنتي بلاش صفاقة، كده اتلم الشمل، طب بصوا بقى، أنا راجل كبير وصحتي على قدي، أنا مش حملكم! إنت يا عم الساحر.

- أؤمرني سيادتك.

- لا سيادتي إيه بقى؟! بص سيادتك، أنا قدامي حلين، يا أتشل يا أضربكم بالنار.

صرخ الساحر بصوت عالٍ: كرسي متحرك للباشا بسرعة يا جماعة.

نظر له الضابط وقد احمرّ وجهه بطريقةٍ غير مسبوقة واتسعت عيناه بغضب، وتوقّف شعره بطريقةٍ أثارت الرعب في قلوب الجميع: اطلعوا بره. أقسم بالله كمان تلات دقايق لو شفت كلب فيكم هنا لضربه بالنار.

اتسعت عينا الرومي برعبٍ وهو ينظر للمذؤوب: الناس دي مستقصدينك.

أشار الساحر لفريقه أن يتبعه في سرعةٍ وهو يفتح باب الغرفة ليهرب، بينما أشار الزعيم لرجاله أن يتبعوه ليتجهوا للنفق من أجل العودة للزنزانة مرة أخرى، خرج الساحر وتبعه الجني ومساعده والفامبير في سرعة، والمذووب والزومبي خلفهم، بينما تباطأت مديحة لتنظر للضابط نظرةً أخيرة وهي تسأله: طب والمحضر؟!

أجابها الضابط بيأس: هاكله، أنا بحب أكل المحاضر، امشوا من قدامي.

خرج الجميع وأغلقوا باب الغرفة خلفهم وأسرعوا للخارج، وما إن خرجوا حتى توقف الساحر ليستنشق هواء الحرية للمرة الأولى منذ بداية اليوم. اصطدم به الجميع إثر توقفه بغتةً فألقوا به أرضًا، قبل أن يسقط الجميع فوقه إلا الزومبي الذي وقف يتأملهم ضاحكًا فرحًا بنفسه، كان الوحيد الذي حافظ على توازنه ولم يسقط فوقهم، صفعةٌ قويةٌ على قفاه من أحد المواطنين الدالفين لداخل القسم ألقته فوق الجميع، الذين انفجروا ضاحكين رغم سقوطهم أرضًا.

*****

وقف الجمع أمام القط الحكيم منكسين الرؤوس، وهو يخطب فيهم بلهجةٍ غاضبة، لهجة أبٍ يلوم أبناءه: أنا قلتلكم من الأول، خطتكم فاشلة يا شوية حمقى، أنا بقى عندي ليكم حتة خطة، من الآخر، هي دي اللي هتخلينا نعرف نحكم المناطق الحيوية في القاهرة وباقي المحافظات، اسمعوا كلامي بقى، إنتي بالذات يا مديحة إنتي والزومبي ده حاولوا متفكروش لآخر المهمة وربنا يسترها علينا.

تركهم القط واختفى خلف صندوق القمامة للحظات، قبل أن يظهر من جديد وهو يجر حقيبةً كبيرةً بعض الشيء ويقول لهم: أنا جبتلكم أكل، الساحر والمساعد سندوتشات فول وطعمية، الزومبي جبتلك فار، الفامبير ومديحة جبتلكم كيسين دم طازة، المذووب جبتلك عضمة حلوة تمصمص فيها، الجني أنا معرفش إنتم بتاكلوا إيه فاحتياطي جبتلك آيس كريم.

انهمك الجميع في الأكل بينما وقف الجني يمسك قطعة الآيس كريم التي سريعًا ما ذابت بسبب نيرانه المشتعلة، تأملهم جميعًا وهم يأكلون بنهم بالغ قبل أن يُثبت نظراته على الزومبي الذي بادله النظرات للحظة، قبل أن يقول: تاني، بتجيب سيرة أمي تاني؟ طب يا رب تتجوز مديحة.

سمعت مديحة حديثًا يحوي اسمها وكلمة زواج، فانقضت على الجنيّ تحاول أن تحتضنه بشدةٍ وهي تقول: والنبي هتتجوزني؟! أنا موافقة، اطفي النار بقى عشان أعرف أحضنك.

سمع الجني كلماتها وتأمل وجهها القبيح للحظةٍ اتّسعت فيها عيناه بهلع، قبل أن يزيد نيرانه لتصرفها بعيدًا عنه، نظرت له بغضبٍ وهي تقول له: إنت حر، إنت الخسران، دا الفامبير يتمنى شعرة مني!

عادت إلى جوار الفامبير، قبل أن تضع يديها على خصرها وتنظر له بدلالٍ لا يتناسب مع مظهرها أبدًا، وهي تخاطبه: إنت ما بتغيرش عليا يا راجل؟

أجابها وهو منهمكٌ في مص الدماء من الكيس الخاص به: لا.

- لا ليه؟!

- بصي يا مديحة. إنتي قدري. محدش بيهرب من قدره. أنا يئست خلاص ورضيت بعقاب ربنا ليا. وبغضّ النظر عن كده أنا أتمنى تخونيني عشان أعمل إن نفسيتي مجروحة. أنتحر وأخلصْ منك.

- هاجي وراك يا فيقي يا حبيبي.

انهمك الجميع في الأكل. ولم تمرّ سوى دقائق حتى كان الجميع قد شعروا بالشبع وبدأ الدفء يغزوا أجسادهم. حمّسهم القط بلهجةٍ قوية: مش عاوزين تعرفوا الخطة الجديدة؟

انتبه الجميع. أشار لهم بالاقتراب من حوله حتى لا تخرج حيثيات الخطة من بينهم. اقترب الجميع حتى شكلوا دائرةً مغلقة. ووقف القط في منتصفها يشرح لهم الخطة بالتفصيل: زي ما انتم عارفين. مصر بلدنا زيها زي أي دولة عربية مليانة رجالة.. يُعتمد عليهم. تقدر تتطمن إن دول هم المستقبل مهما اسودّت ظروف البلد. الشباب الثوري اللي بيحب البلد بجد. إحنا مش عاوزين دول بقى. إحنا عاوزين المخربين والبلطجية. دول اللي عارفين مداخل ومخارج كل حاجة. هنعرف منهم إزاي ندخل التحرير ومن هناك هنكمل خطة الساحر.

نظر له الجميع بدهشةٍ قبل أن يبادره الزومبي بفكرة: طب دي خطتك. ليه منجربش خطة ٤-٤-٢. حلوة والأهلي بيكسب بيها على طول.

نظر له الجميع قبل أن ينظروا لبعضهم البعض في محاولةٍ لتقرير من منهم سيصفعه على قفاه هذه المرة. بادرته مديحة بصفعةٍ هائلةٍ على قفاه

ليصمت الجميع. توجه الجميع بعدها خلف القط ليذهبوا للجلوس مع أحد هؤلاء الشباب.

*****

توقفوا أمام عمارةٍ مهدمةٍ بعض الشيء. نظر لهم القط دلالةً على أنهم وصلوا للمكان المطلوب. نظروا للعمارة في هلع. هذا المكان كفيلٌ بأن يبث الرعب في قلوب أشجع الشجعان. تأمل الجميع المكان من حولهم وقد حلّ الظلام عليهم. منطقةٌ شعبيةٌ مهدمة البيوت. الأرض مليئةٌ بأشياء لا تدري كنهها. الظلام الدامس يسيطر على الموجودات ويفرض سطوته بعنف. صوتٌ خافتٌ يحيط بهم لا يعرفون مصدره. الخوف بدأ يغزو قلوبهم. تحرك الجميع بسرعة وقد شعروا بقشعريرةٍ تغزو أجسادهم. دلف الجميع إلى مدخل تلك العمارة وتوقفوا للمرة الأخيرة وهم ينظرون للقط في شك. طمأنهم القط بإيماءةٍ خفيفةٍ من رأسه قبل أن يصعد سلم العمارة بثقة. تأمل الجميع السلم المهدّم ونظروا للأسفل يحاولون اختراق الظلام بنظراتهم. محاولين ألا تزل أقدامهم من على إحدى السلمات المهدمة لتدقّ أعناقهم. صوت خطواتهم يتردد في قوة. أنفاسهم تتقطع في خوفٍ وإرهاق. تابع الجميع الصعود على السلم حتى وصلوا للدور الأخير قبل أن يتجاوزوه ويصعدوا للسطح الذي خلا إلا من عدة أشياءٍ تناثرت هنا أو هناك في إهمال. شابان يجلسان في استرخاءٍ وفي يد كلٍّ منهما سيجارة وهما يسمعان مطربًا شابًا حسن الصوت يشدو بأغنيةٍ جديدةٍ قد ملكت لبّهما. أشار القط للساحر أن يتحدث لهما بهدوءٍ وتروٍّ حتى لا يشكّا في أمرهم. كان الشاب يغني بصوتٍ جميلٍ أغنية حملت عنوان "أصابك عشقٌ". نظر لهم الساحر وهو يطمئن عليهم:

المساعد بتاعي، أصابك عشق؟

- لا الحمد لله جت سليمة.

- مذؤوب، أصابك عشق؟

- لا يا ريس أنا تمام

- قامير، أصابك عشق؟!

- كان ميجي فيا بس بعدت فأصاب مديحة.

- في داهية مديحة، مش مهم خالص، أنا بس قلت أتطمن عليكم يا ولاد.

أنهى كلماته وتوجه للشابين اللذين انتبها لوجوده فاعتدلا في جلستهما وخفضا صوت المسجل قليلاً، قبل أن يسألاه: خيريا عمنا، أؤمر؟

- أنا عاوز أدخل التحرير ومعاييش تصريح، قالولي إنكم هتتصرفوا.

نظر له الشابان بشك وأحدهما يقول: إنت أجندة ولا إيه؟!

نظر لهما الساحر في عدم فهم: لا معاييش بس لو ضروري ممكن أبعت حد يجيب أجندة، وبتاعة السنة دي كمان.

إجابته الغريبة طمأنتهما قليلاً، تحولت النبرة الخائفة لنبرة ابتزاز: قدرنا هنسلكك.

- تسلكني!! دخلنا بس التحرير وعنيا ليك.

- يبقى اتفقنا يا ابن والدي، هندخلك التحرير ومن غير ما أعرف ليه، المهم تلاغيني.

مد يده أمامه وقد فرد أصابعه وهو يسأل الساحر: عهد مين ده؟!

أجاب الساحر بخوف: والله ما أعرف.

- وعهد الله ما عملتها مع حد قبلك، بس أنا ارتحتلك معرفش ليه.

-بس أنا عاوز أسألك سؤال مهم، زميلك بيعمل إيه؟!

- بص هو أنا مش متأكد إنما يجوز، يجوز يكون بيحاول يولع سيجارة من زميلكم المولع ده.

نظر الساحر للقط بيأس، إلا أن القط كانت عيناه مليئتين بالثقة. صوت ضجةٍ فجأة قطع حبل أفكار الجميع. آنات ألم وصرخاتٌ متقطعة، انتبه الجميع ونظروا نحو باب السطح. تعلّقت العيون بالباب بلهفةٍ في محاولةٍ لاختراقه ومعرفة ما الذي يحدث. صوت صدماتٍ وصوت شخصٍ زلّت قدمه ليسقط من علٍ، آنات ألمٍ أخرى وتأوهاتٌ اخترقت رؤوسهم، رعشةٌ خفيفة سيطرت على أجسادهم. مفاجأةٌ صادمةٌ اتسعت لها عيونهم في فزع. الشخص الذي يدخل من الباب الآن كان آخر شخصٍ يتوقع أن يراه الجميع، الأخير على الإطلاق، ومظهره كان صادمًا لهم، قبل أن تنطلق من ذلك الشخص صرخةٌ هائلةٌ وهو يسقط أرضًا، ردد الفراغ الصرخة في إصرار والجميع يعدو نحوه

بعنف. أمسكه الساحر قبل أن تخور قواه ويسقط ونظر في عينيه يحاول أن يستشف ما حدث له. إلا أنه سقط فاقدًا لوعيه بين يدي الساحر. الذي نظر للجميع نظرةً لا تحمل سوى معنى واحد. قرب فقدانهم للأمل.

*****

نظر الجميع بفزعٍ وهم يتأملون الزومبي الفاقد الوعي بين يدي الساحر. الذي اتسعت عيناه بهلعٍ وهو ينظر لهم في عدم تصديق. تجمّد الجميع في أماكنهم للحظاتٍ قبل أن يتحرك المذؤوب بسرعةٍ وهو يعدو ناحية الساحر ليساعده على الإمساك بالزومبي. مشيا به حتى أراحا جسده على أريكةٍ تظهر حشوتها الداخلية. نظر لهم الساحر وقد ظهر التأثر جليًا على وجهه. حاول التحدث إلا أنه اختنق بمشاعره فأدار وجهه بعيدًا عنهم لتفر دمعةٌ حاول إخفاءها عنهم. مسحها بيده برفق قبل أن ينظر لهم وهو يقول بصوتٍ مختنقٍ يجيش بالمشاعر: ينفع؟! إحنا قلنا لو عاوزين ننفذ هدفنا لازم نبقى واحد. إيد واحدة. كده هنفشل. لازم كلنا نبقى واحد. إزاي كلنا ما أخدناش بالنا إنه مش معانا. كلنا مقصرين وأنا أولكم. إحنا إزاي..

قاطعه الزومبي وقد بدأ يفيق بصوتٍ خافتٍ مُجهد: حد يشغّل مزيكا حزينة يا إخوانا.

جرى نحوه الجميع في لهفةٍ وتجمعوا حوله وقد ظهر عليهم الاهتمام. نظر لهم وظهر عليه الامتنان وهو يقول: كده الواحد يحس إن له عزوة.

نظر له الساحر وهو يقول في لهفة: إيه اللي حصل. إنت مش كنت ورانا؟

بدأ الزومبي يقص بصوتٍ مُجهد: أنا فعلاً كنت طالع وراكم. كنت آخر واحد في الصف. لسه هطلع حسيت بحد بيحط إيده على وشي ويمنعني أتكلم. حاولت أصرخ أو أستنجد بيكم لكن هو كان أقوى مني. سحبني في ثواني على جنب وثبتني. بدأت آخد بالي إنه مش لوحده. كانوا تلاتة. رفعوا عليا سلاح أبيض. عاوزين مني فلوس.. موبايل.. ساعة.. أي حاجة. ولما اتأكدوا إن مش معايا حاجة. ضربوني.

قطع كلامه بنوبة سعالٍ حادّة وامتلأت عيناه بالدموع وقد أوجعه التذكر. فاستكمل بصوتٍ مختنق: نزلوا فيا ضرب وفين يوجعك.

قاطعته مديحة: فين؟!

- فين إيه؟

- يوجعك؟!

- اسكتي يا مديحة وخليني اكمل. بدأوا يضربوني وبدأت أصرخ. ناس فعلاً حسّت بيا. القريب إنهم وقفوا يتفرجوا عليا وأنا بتضرب. محدش اتحرك من مكانه. محدش سألهم بيضربوني ليه. محدش عمل حـ.. مين دول؟

قطع كلامه وهو يشير إلى الشابين بيدٍ مرتعشة. تحدث أحد الشابين وهو يعرفه بهما: أنا سعيد مشرط وده أخويا إسماعيل سرنجة.

- مشرط وسرنجة!! إنتم دكاترة. ما شاء الله. الإسعاف بقى يوصل بسرعة.

- دكاترة آه. دكاترة كيف. بص تاخد ربع يكيفك؟

- لا.

- طب نص يظبطك؟!

- لا.

- تذكرة تروشك؟

- لا.

- فراولاية تنعنشك؟

- إيه يا عم... مش عاوز حاجة، إنت ما صدقت!

- طب أجيبلك مزة تدلعك؟

- صباح الورد بقى.. فينك من زمان!

- موجود بس إنت اللي مقرتنيش دماغك.

- ليه خطي وحش؟

ضج كلاهما الزومي ومشرط في عاصفةٍ من الضحك. قاطعهما الساحر وهو يصفع كلاً منهم على قفاه ليصمتا. أشار للزومي بصوتٍ غاضبٍ: كمّل!

- ضحك؟!

صفعةٌ أخرى أخرسته ليقول: كمل الحكاية. تمام، بس بقى هروني ضرب، بس عارف، الحاجة الوحيدة اللي زعلتني إيه؟

سأله الساحر بلهجةٍ متعجبة: إيه؟

أجاب بتأثر: محدش فهم ضربني على قفايا!

- هنعرف نقف؟ عاوزين نشوف هنعمل إيه؟

- تمام أنا معاكم، ولو فيه أي حاجة المنزوب يسندني.

توجه الساحر بنظراته تجاه مشرط وهو يقول: هتدخلنا التحرير إزاي؟

- إنت حظك حلو، قدامنا ساعتين وفي مسيرة واخدة تصريح هتدخل التحرير، إحنا هنندس في النص ومن غير ما حد يحس بينا.

- تمام جدًا، هنتحرك إمتى؟!

- حالاً.

=====

اقترب الجميع بهدوءٍ من الشارع الذي ستمر منه المسيرة، نظروا إلى مشرط الذي نظر في ساعته قبل أن يشير لهم بالاستعداد. بدأ صوت المسيرة يعلو وهم يقتربون منهم. استعد الجميع وبدأت الأنظار تتعلق ببداية الطريق الذي ستظهر منه المسيرة خلال لحظات. تأهب الجميع ومع ظهور المسيرة تعلقت

الأعين بهم. للحظة خاب أملهم وهم ينظرون لمشرط الذي تتسع ابتسامته بشدة. نظر له الساحر بدهشة وهو لا يعرف لماذا يبتسم هذا المعتوه. فالمسيرة صغيرةٌ وسيظهرون بداخلها بكل سهولة. نظر له الساحر وهو يقول: هي دي المسيرة؟

- آه.

- آه إيه بس. إنت عيان؟! إنت مش ملاحظ حاجة؟

- حاجة زي إيه؟

- إنها مثلاً مثلاً يعني، صغيرة شوية؟!

- ما هي دي حلاوتها، صغيرة وعودها شادد.

- يا عم إنت جايبلي عروسة؟

- يا عمنا، عودها شادد يعني الناس هتنضم لها واحنا ماشيين، على ما توصل التحرير هتشوف هنبقى قد إيه.

- مشرط؟!

- عيب يا عمنا. يلا بينا.

انضم الجميع لتلك المسيرة التي استمرت في السير دون أن ينضم لها أي شخص. الهتافات كانت عادية. بضع هتافات لتحقيق مطالب الثورة. مطالب

لمحاربة الفساد. اقترب الجميع من التحرير. دخلت المسيرة وأبرز قائدها تصريح الدخول. استمر الفحص لدقائق. نظر الضابط المسؤول في التصريح للحظات وهو يجيل أنظاره بين الحاضرين في المسيرة. أطال الضابط فحص التصريح وكأنما يتعمد استفزاز الحاضرين. بدأت همهمات الملل تظهر من بين الحضور. نظر لهم نظرةً نارية يريد إخافتهم بها ولكنها استفزتهم لأقصى حد. بدأ الأمر بهتاف ضد الداخلية. تبعه العديد من الهتافات. صوت المسيرة كان عاليًا برغم قلة عددها. بدأ الشد والجذب بين قوات الأمن والمتظاهرين. ببساطةٍ شديدة أصدر الضابط أمرًا بالقبض على المشاركين في المسيرة. هنا بدأ الهرج: جرى الجميع في كل الاتجاهات خوفًا من القبض عليهم. شعر الساحر بالارتباك وقبل أن يتحرك شعر بقبضةٍ ثقيلةٍ تهوي على كتفه وشعر بجسده يُجر بقوة. نظر من حوله في توتر حتى بدأ يستوعب الأمر. هو وجماعته قُبض عليهم في لحظات قليلة. بنظرةٍ خاطفة صُعق وهو يرى مشهدًا آلم قلبه بشدة. راقبت عيناه المشهد وهو يشعر أن كل ما حوله يحدث بالتصوير البطيء. كان ما يراه صادمًا بجميع المقاييس. لم يعد يدري ما هو العمل ولا كيف سيهرب بعد أن تم القبض عليهم للمرة الثانية! أخذ يفكر كيف كان بتلك السذاجة. كيف سمح لنفسه أن يسقط كالفرّ الساذج في هذا الفخ. كان أحد الرجال المشاركين في المسيرة يقف بجوار الضابط، والضابط يربت على كتفه. كان يبادله الابتسامة. يصافحه وفي عينيه نظرة رضى وتقدير. للحظة التقت عيناهما. لم يرَ في عينيه إلا الشماتة والسخرية. لم يكن ذلك الشخص سوى مشرط. سعيد مشرط!

*****

دخل الجميع إلى القسم، للمرة الثانية خلال سويعات قليلة يتم القبض عليهم في نفس المكان ويتم ترحيلهم لنفس القسم، هم فقط الذين تم القبض عليهم من المسيرة، الجميع كانوا محترفين إلا هم، مجموعةٌ من الهواة تم تسليمها إلى قبضة الأمن. وقف الجميع على باب الغرفة التي يجلس بها الضابط الذي أطلق سراحهم، نظر لهم الجندي المسؤول عن حراسة تلك الغرفة وهو يقول: الباشا أعصابه تعبانة، بقاله يومين ما نامش.

قال الساحر بصوت خافت: ربنا يستر.

استمر الجمع في الوقوف أمام الباب وهم يسمعون صرخاتٍ تأتي من داخل الغرفة، صوت آنات ألم وآهات.. صوت شخصٍ يتألم بحق وصوت ضحكات! لحظاتٌ مرت قبل أن يخرج شخصٌ يسنده اثنان من المخبرين ليلقوا به في زنزانةٍ قريبة، نظر الجندي لهم وقال: محدش يتنفس لحد ما أدخل أهدّي الباشا شوية.

مرت دقيقتان قبل أن يظهر الجندي وهو يقول: هتدخلوا واحد واحد، أنا هدّيته، محدش يستفزه.

فتح الجندي الباب وأشار للساحر بالدخول، دخل الساحر بأقدام مرتعدة، كان الضابط يتصفح أوراقًا أمامه، قال الساحر بصوتٍ خافت: السلام عليكم.

رفع الضابط عينيه وتأمله في غضب، قبل أن يصيح بصوت عالٍ: يخربيت أهلك!

دار الساحر على عقبيه وهو يتجه للباب في محاولة للخروج من الغرفة، وهو يقول: عليكم السلام.

- خد ياض.

وقف الساحر أمام الضابط وهو يرتعد وينظر للأرض في خوف: أؤمرني يا باشا.

- اصدمني وقولي إنك مش الساحر اللي كان عندي الصبح.

- للأسف هو أنا نفس الشخص.

- إنت عاوز مني إيه ياض، عاوز إيه؟!

بدأ الضابط يفقد أعصابه، مد يده ليخلع العلامات التي تحمل رتبته وألقاها بعنف على المكتب أمامه، بدأ في فك أزرار قميصه بغضب حتى تعرى وظهر جذعه العلوي، مد يده على الحزام ينوي أن يفكه إلا أن الساحر أسرع إليه وهو يمسك يده: إنت هتعمل إيه؟

- أنا.. أنا هولع فيا وفيك وفي القسم كله، أقولك على حاجة، أنا اقتنعت إنك ساحر!

- خلاص يا باشا، همشي والله، هغادر القاهرة كلها.

اتسعت عينا الضابط في هلع وهو يقول: القاهرة! إنت تغادر مصر، أنا لو لمحتك في أي حتة في مصر عارف هعمل فيك إيه؟!

- مش عاوز أعرف يا باشا، والله همشي فعلاً. بعد إذنك يا باشا.

نظر الضابط للجندي وهو يأمره بفك قيودهم وتركهم يرحلون للمرة الأخيرة. خرج الساحر وبمجرد أن رأى زملاءه حتى ظهرت عليه علامات العزّة والكرامة. نظرة ثقةٍ وشموخ ظهرت في عينيه، تابع نظرات الدهشة في أعين زملائه والجندي يفك قيودهم. نظر له المذووب وهو يقول: إيه اللي حصل؟!

- حصل!! محصلش حاجة بس العبد لله سيطرة.

ارتفع صوت الضابط من داخل الغرفة وهو يصيح بصوت عالٍ غاضب: تعالى يا حيوان.

اتّسعت عينا الساحر بهلع وهو يهتف بصوتٍ مرتعد: اجروا، اجروا.

هتف القامبير وهو يعدو: على فين؟

أجابه الساحر وهو مستمر في العدو: هنروح إسكندرية.

تساءل الزومي: هنروح إسكندرية جري؟

صفعةٌ على قفاه من مديحة أخرسته تمامًا فالتزم الصمت.

*****

بعد عدة أيام (يوم الجمعة)

وصل الجميعُ إلى ميناء الإسكندرية ووقفوا أمام السفينة التي ستقلهم. نظر الزومي للساحر بيأس وهو يقول له: متينة الفلوكة دي؟

نظر له الساحر باشمئزازٍ ولم يرد، وإنما رد المذووب بدلاً منه : فلوكة؟ إحنا مسافرين القناطر؟! دي سفينة.

نظر الزومي للساحر مرةً أخرى وهو يسأله: السفينة دي اسمها القنزرة ليه؟!

للمرة الثانية نظر له الساحر ولم يرد، فرد بدلاً منه القامبير: الحنزرة من الحنزر يا قنزر.

سأل الزومي للمرة الثالثة: هو الساحر أخرس؟

هذه المرة لم يرد عليه أحد وإنما عاجله الجني بصفعةٍ قويةٍ على قفاه، نظر له الزومي وهو يقول: صح، إنت الأخرس.

صرخ الساحر بصوتٍ غاضب: بس! مش عارف أركز.

نظر للقط بنظرةٍ تحمل أكثر من معنى، قبل أن يقول له: هنقولهم الخطة؟

هز القط رأسه برضى. نظر لهم الساحر وبدأ يشرح خطته: طبعًا إحنا مش معانا جوازات سفر ولا تصاريح. إحنا هنركب السفينة والجني مسؤول عن إنه يخفينا كلنا.

نظر للجني وهو يقول: أنا عارف إنه مجهود عليك، بس أوعدك أول ما نوصل بالسلامة هسيبك ترتاح.

هزّ الجني رأسه وأعلن موافقته على تلك الفكرة. جال الساحر بعينيه في فريقه بفخر. الفريق الذي يجمع العديد من الوحوش المتنوعين في القوة والذكاء. كلٌ منهم يحمل صفاتٍ لا تتوافر في الآخر. فريقٌ كاملٌ متكامل. لا ينقصه إلا حسن الحظ. قاطعت مديحة أفكاره وهي تهتف بصوتٍ خشن: بقولك إيه يا زميلي. إحنا هنروح فين. إحنا كأعضاء في الفريق من حقنا نعرف.

نظر لها الساحر بقرفٍ وهو يقول: لما تيجي ترجّعي ودي وشك الناحية التانية عشان بقرف.

مال عليه مساعده وقال بصوتٍ خافت: دي بتتكلم.

نظر له بدهشة: يعني ده كلام؟!

- آه.

- والله؟!

- آه والله. بتسألك هنروح فين؟

- دي مفاجأة. سيبوها لوقتها أحسن.

التفّ الجميع حول الجني حتى شكلوا حوله دائرةً مغلقةً هو مركزها. جال عليهم بعينيه وهو يتأملهم قبل أن يُغلق عينيه في تركيز ويرفع ذراعيه إلى السماء كأنما يستمد منها القوة. صوت قعقعة النيران يعلو ولهيبها يرتجف. زاد حجم النيران لتُغطي الجميع وصوت فحيحٍ هائلٍ يصدر منها. كان الجميع يقف الآن في قلب النيران التي تغطيهم. فتح الجني عينيه وارتسمت ابتسامةٌ صغيرةٌ على وجهه للحظات قبل أن يصدر صوت أشبه بفرقعة السياط. واختفى الجميع.

بدأت السفينة تتحرك ومشى الجميع على ظهرها بحرية. كانوا يتمتعون بميزة الاختفاء عن أعين الجميع. أخذوا يراقبون طاقمها وهو منهمكون في العمل. الجني وقف على أكثر السواري ارتفاعًا وهو يرمق أرض الإسكندرية كأنه يودعها. المذؤوب والقط والساحر ومساعده ينتحون جانبًا في أحد الأركان البعيدة وهم يتناقشون في تركيز. الزومبي كان يحاول أن يجذب ذيل القط في إصرار. مديحة والفامبير وقفوا بجوار بعضهما البعض يتأملون المياه بينما التفّ ذراع الفامبير حول كتفها في رومانسية. كان جسدها يهتز برفقٍ لتبدو للعيان وكأنها تبكي. بينما الفامبير يحتضنها ليهون عليها أمور الحياة الصعبة وفراق الوطن. إلا أن مديحة كانت منهمكةً في إفراغ ما في جوفها في البحر بينما تقبض بيدها على ذراع الفامبير الذي يحاول الهرب باستماتة. أنهت مديحة ما تفعله ونظرت للفامبير وهي تقول: دوار البحر.

- ماله؟

- أنا عندي دوار البحر.

- هتهزري؟ دا دوار البحر اللي عنده مديحة.

- بتقول إيه؟!

- مبقولش حاجة. صحة يا مديحة.

- دلعني يا راجل.

بينما كان الجني يقف بثبات يتابع مقدمة السفينة وهي تشق المياه، العديد من الأفكار كان يجول في رأسه، لقد وافق على الانضمام لهذا الفريق لكي يحقق حلمًا من أحلامه، منذ أن كان صغيرًا وهو يحلم أن يكون ملكًا، رئيسًا، زعيمًا، يريد أن يسيطر ويكون له أتباع، وأخيرًا تحقق الحلم، ينقصهم فقط التنسيق مع بعضهم البعض والعمل كفريق واحد، لو تكاتف الجميع وتآزروا سيحققون أحلامهم، يجب عليه ألا يتخاذل ويتكاسل.

الساحر المجتمع بباقي فريقه لا يزال يتحدث معهم: لازم نفوق شوية. اللي حصل صفحة واتقفلت، لازم ننساها بكل مساوئها، لازم نبدأ صفحة جديدة، والأهم إننا نتعلم من أخطاء المهمة الأولى، مش عاوزين نفشل كل مرة.

رفع القط يده يريد أن يتحدث: كلامك كله جميل وحلو، ولازم ناخد بالنا، وهنبقى كلنا إيد واحدة والحاجات الجميلة دي كلها هنعملها، بس بالنسبة لابن الجزمة اللي قاعد يشدني من ديلي من ساعة ما طلعنا ده، والختمة الشريفة هبشه ونبقى ناقصين واحد!

صاح الساحر في الزومبي بغضب: بس بقى. إنت جاي تلعب؟! روح شوف هتعمل إيه.

ظهر الغضب على وجه الزومبي وهو يقول: إنت زعيم مش ديقومراطي!

- مرات مين؟!

- ديقمراطي من الديقمراطية.

- روح شوف حالك بعيد يا إما والله هسيب القط عليك!

مشى الزومبي وهو يتأمل البحر في هدوئه حتى اقترب من الفامبير ومديحة، سمع صوت الفامبير يخاطب مديحة برجاء: طب سيبي إيدي وأنا مش ههرب، السفينة قدامك أهي متر في متر.

وضعت يدها على رأسها كعلامة للذكاء وهي تقول: لا ما إنت ممكن تختفي مني زي ما إحنا مختفيين من الناس.

- مديحة. إنتي فكرتي في الجملة قبل ما تقوليها؟!

- لا بصراحة.

- طب أنا كنت قايلك إيه؟!

- ما اتكرعش في وشك تاني.

- لا مش دي الله يقرفك. التانية؟!

- لما أطلع صابعي من مناخيري ممسحش في هدومك؟

- برضه لا، ركزي يا مديحة.

- آه لما أدخل الحمام مـ...

- بس. اسكتي، قلتلك فكري في الكلمة ٣٠ ثانية قبل ما تقوليها. صح؟!

- ....

- صح ولا لأ؟!

- ....

- ساكتة ليه يا مديحة؟

- صح يا كبير، كنت بفكر في الكلمة ٣٠ ثانية أهو.

- ارحمني يا رب.

*****

(يوم الأحد)

توقفت السفينة في ميناءٍ ضخم، يبدو أنهم وصلوا لوجهتهم أخيرًا. بدأ الرجال ينزلون من السفينة واحدًا تلو الآخر، لم يتبق على سطح السفينة إلا جماعتنا، لا يزال الزومي حزينًا بسبب معاملة الساحر له. ثم إن هناك مشكلةً أعظم. لم يضربه أي شخصٍ على قفاه طوال الرحلة. نزل الزومي من

السفينة دون أن يعرف هل سيتبعه الجمع أو أين سيذهبون، كان يريد أن ينفرد بنفسه قليلاً، لا يريد أي إزعاجٍ من أي شخص. نزل ليخرج من الميناء. لاحظ أنه بمجرد أن ابتعد عن الجني بمسافةٍ معينة حتى انتهى تأثير تعويذة الاختفاء عليه، عرف أنه ظهر جليًا للجميع. ما إن خرج من بوابة الميناء حتى وجد مطعمًا صغيرًا مضاء الأنوار إلا أنه شبه خالٍ. دفع الباب بيده ودخل للمطعم وهو منكس الرأس، توجه للبار الصغير وجلس عليه وهو يسند رأسه بيده ويحاول جاهدًا منع دمعةٍ حائرةٍ تريد أن تفرّ من داخل روحه. شعر بشخصٍ يقف خلفه ولمح قائمة الطعام تُمدّ لتوضع بجواره، علا صوته ليخبر النادل طلبه: اديني كاس والنبي يا خواجة، عاوز أنسى.

أجابه النادل بصوتٍ خافتٍ ولهجةٍ مصريةٍ خالصة: معندناش خمور والله يا فندم.

- طب اديني فنجان قهوة. أحاول أفتكر.. ثانية واحدة. إنت مصري؟!

- آه يا فندم مصري.

- وبتعمل إيه هنا؟!

- هنا فين؟!

- إحنا فين؟

- في بورسعيد.

- بورسعيد المصرية!

- مفيش منها جنسيات تانية يا فندم.

خرج الزومي من المطعم وهو يعدو بخطواتٍ سريعة يحاول اختصار المسافة بينه وبين السفينة، وصل أخيرًا إليها ولاحظ أنه دخل نطاق الجني فاختفى عن الأبصار مرةً أخرى. صعد وهو يعدو على السلم حتى وصل إلى سطح السفينة. نظر له الجميع في دهشةٍ وهو ينشج في عنف وصدره يعلو ويهبط. صمت الجميع بغتةً وانتظروه ليتحدث، سحب نفسًا عميقًا قبل أن يقول: يا جماعة، إحنا، إحنا لسه في مصر.

نظر له الساحر بدهشة وهو يقول له: أيوة.

- أيوة إيه؟! إحنا لسه في مصر بقولك!!

- فين عنصر الإبهار؟! أندهش إمتى؟!

- يعني إنتم عارفين؟!

- آه، قدامنا يومين على ما نوصل وجهتنا الأخيرة.

- ما تقولنا وجهتنا الأخيرة إيه عشان مش كل شوية نندهش!

- وجهتنا الأخيرة، لبنان!

*****

(٣)

(لبنان)

وصلت السفينة إلى وجهتها، نزل الجمع منها وهم يمشون بتمهلٍ يتأملون شوارع لبنان، لم يعرفوا بعد أين رست السفينة ولا في أي ميناء، الذي يعرفونه جيدًا أنهم وصلوا سالمين، بمجرد أن خرجوا من بوابة الميناء وتوقفوا في شارعٍ يبدو أنه شارعٌ رئيسي حتى أمر الساحر الجني بأن يزيل عنهم إمكانية الإخفاء، يجب أن يظهروا للعيان حتى يستطيعوا أن يُثيروا الذعر في قلوب البشر هنا، وقف الساحر على جانب الرصيف وارتص الجميع أمامه، بدأ يخطب فيهم محاولاً أن يُثير حماسهم للقيام بالمهمة هنا على أكمل وجه: ممكن تسألوني ليه جينا لبنان، جينا لبنان عشان هنا.. شوية بنات زي القشطة.

عبارته الأخيرة كانت خارج نطاق الخطبة، ولكنها قالها وهو يتابع بعينيه مجموعة فتيات يمشين بتمهل من أمامهم، يتابعنهم بابتسامةٍ تسلب العقل ولا يبدو عليهن أيٌّ من علامات الخوف أو الفزع، نظر لهم المذؤوب وهو يطلق زئيرًا قويًا صاحبه تطويح رأسه للخلف في قوةٍ وهو يُبرز عضلات صدره في محاولةٍ لإثارة إعجابهن، بالفعل ضحكت الفتيات ولكنهن لم يتوقفن.

نظر لهما القط وهو يقول: إحنا كده جايين نتجوز مش جايين نشتغل، انزل وأنا هفهمهم.

نزل الساحر وصعد القط مكانه ونظر لهم في شموخٍ وعظمة، فرد صدره وتلاعب بذيله في الهواء وهو يقول: أصدقائي، سيداتي وسادتي، إننا اليوم نعـ..

قاطعه الزومبي: إنت هتنقل ماتش الأهلي، انجز.

نظر له القط شزرًا وهو يعدل لهجته قليلاً: النهارده بداية جديدة، فصل جديد من الحدوتة، النهاردة أول سطر ف..

قاطعه الزومي للمرة الثانية: إنت هتحكيلنا حدوتة الشاطر سندباد والأميرة شهرزاد؟! خلص يا حاج!

للمرة الثانية ينظر له القط وهو يحاول أن يتحدث: طب عشان نخلص، أنا والساحر والمساعد والمذووب هنكون فريق الأمان، أما بالنسبة لفريق الرعب فمكوّن من الزومي والجنّي والفامبير ومديحة، عليها حتة ديل يودي في داهية.

مال الفامبير للخلف قليلاً محاولاً أن يستبين ذلك الذيل الذي يتحدث عنه القط في ظهر مديحة، قبل أن تضربه برفقٍ في كتفه وهي تقول للقط بصوتٍ يشبه صوت انفجار القنبلة الهيدروجينية: بتقول إيه ياض؟!

- مش إنتي يا مديحة جتك القرف!

نظر الجميع خلفهم فوجدوا قطةً بيضاء مرمريةً واسعة العينين لوزيتهما، ذات ذيلٍ طويلٍ منفوشٍ نظيف، تقف وهي تنظر للقط نظرة إغراءٍ لا مثيل لها، تركهم القط كالمشدوه واندفع يمشي في ولَهٍ نحوها، قبل أن يدعس المذووب على ذيله وهو يقول: رايح فين؟! عندنا شغل!

- ماشي يا عم، أبقى أشوفك سارح ورا كلبة!

دفعهم الفامبير برفقٍ وهو يعتلي الرصيف الذي يستخدمونه كمنصةٍ للخطابات، وهو يقول بصوتٍ منكسر: طبعًا أنا أكتر واحد فيكم ينفع يخطب

دلوقت، وطبعًا كلكم عارفين السبب، لأن أنا بعون الله كرهت صنف الحريم كله، والبركة في ست الكل.

نظرت له مديحة نظرةً تكاد تحرقه بها، فقال: قصدي من كتر جمالك، كرهت الحريم، منا مش لاقي بحلاوتك!

ابتسمت في عشقٍ وهي تبعث له بقبلةٍ في الهواء، فتفاداها بحركةٍ سريعةٍ وهو يتأمل مظهرها الأشبه بأنثى الفيل عقب عملية الولادة مباشرةً، قبل أن يقول بصوتٍ خافت: عوّض علينا عوض الصابرين يا رب!

ثم تابع خطبته: هنا مهمتنا سهلة وصعبة.

قاطعه الزومي: don't mix يا كبير.

-اسمع وانت تفهم.

- ولما أفهم؟!

- اسكت، مهمتنا سهلة في إن البلد هنا السيطرة عليها أسهل، الناس هنا بتخاف أكتر، وصعبة لأن الأمور اللي هتلهينا كتير.

تحدث الزومي مرةً أخرى: الأمور اللي هتلهينا؟! ما تقول الملاهي وخلاص.

- ملاهي!! إنت جاي تتمرجح؟ ما تسكت بقى، أهم شيء هنا ما نفقدش أعصابنا قدام الحريم اللي زي الزبدة!

كانت الجملة الأخيرة من حديثه غزلاً واضحًا لإحدى السيدات التي تمشي بدلال، قبل أن يشعر بشيءٍ صلبٍ يصطدم بوجهه بعنف، ليجد مديحة قد ألقت إحدى فردتي حذائها وتستعد لإلقاء الأخرى في وجهه. بادرها بالاعتذار حتى لا تُلقي الأخرى عليه: يا قلبي بعاكسك إنتي بس إنتي عشان حولة اتهيألك إني بعاكس البنت دي.

ابتسمت في ولَهٍ وهي تُنزِل الفردة الأخرى وتضع قدمها فيها، قبل أن تضع قدمها على الأرض لتدعس قدم مساعد الساحر بقوة، رفع المساعد القدم المصابة وهو يقفز على قدمٍ واحدةٍ في دوائر. نظر لها الساحر قبل أن يوجه أنظاره للفامبير الذي تمالك أعصابه وهو يصيح بهم: مهمتنا هتبدأ من دلوقت. لازم نركز كلنا ونبقى إيد واحدة.

قطع حديثه عندما رأى ثلاث سياراتٍ تقترب في سرعة. السيارة الموجودة في المنتصف هي أكثرها أهمية، والدليل على هذا أن هناك سيارةً أمامها وسيارةً خلفها. توقفت السيارات أمامهم قبل أن ينزل من السيارتين الأولى والثالثة عدة رجالٍ مفتولي العضلات، يرتدي كلٌّ منهم بذلةً كاملةً وحذاءً أسود لامعًا. من الانتفاخ الذي يبرز في جانب كلٍّ منهم تستطيع أن تُجزم أنهم مسلحين، نظارةٌ للشمس تُخفي نصف وجه كلٍّ منهم وسماعةٌ متصلةٌ بأسلاك تختفي تحت قميص كلٍّ منهم معلّقةً في أذنه. كان عددهم أربعة رجال. هبط أحدهم من السيارة الأولى بينما الثلاثة الآخرون هبطوا من السيارة الثالثة. نظر الفامبير لهم قبل أن يُشير بيدٍ مرتجفةٍ إلى مديحة وهو يقول: هي دي يا باشا اللي بتدوروا عليها. دي تاجرة سلاح ومديرة شبكة دعارة. في وقت فراغها بتبيع مخدرات وقبل ما تنام بتقتل جيرانها وبتسرق البيوت بتاعتهم وتغتصب العيال

الصغيرين، وكمان هي السبب في التفجيرات الأخيرة واللي قبلها، وهي السبب في سوء العلاقات الدبلوماسية بين مصر ولبنان، وكمان هي السبب في سوء مستوى الأغاني في الفترة الأخيرة، وسبب انحدار مستوى الأفلام العربي، هي سبب تأخير ألبوم عمرو دياب كل سنة والسبب إن ليوناردو دي كابريو مبياخدش أوسكار، دي كمان بتقول على هيفاء وحشة يا باشا. اقبضوا عليها يا باشا!

نظر له الرجل الذي يبدو أنه قائدهم قبل أن يتجه بخطواتٍ بطيئةٍ إلى السيارة الوسطى، بينما توقف الثلاثة الآخرون أمامهم يمنعونهم من الحركة أو الهروب. انحنى على السيارة وهو يمسك مقبض الباب ليفتحه، بمجرد أن انفتح باب السيارة على آخره حتى هبطت قدمٌ أنثويةٌ بيضاء ترتدي حذاءً أحمر اللون عالي الكعب. تبعها باقي الجسد برشاقة. فتاةٌ في أواخر العشرينات أو بداية الثلاثينات على أقصى تقدير. جسدها ممتلئٌ بعض الشيء إلا أنه يفيض بالأنوثة، حمراء الشعر قصيرته. تمتلك أروع الملامح وأكثرها جمالاً وطيبة. بيضاء البشرة إلا أن خديها ينبضان بالدم. عيناها واسعتان بنيتان. ترتدي فستانًا بنيًا تكاد تختفي روعته في روعة جمالها. ذابوا في ملامحها قبل أن تتوقف أمامهم وهي تنظر لقائد الحرس لتعطيه الإذن ليتحدث. توقف أمامهم وشد جسده بطريقةٍ توحي أنه كان عسكريًا لفترةٍ لا بأس بها. نظر لهم وهو يتحدث بصوتٍ عالٍ: اللي قدامكم دي الفنانة حسناء. الفنانة حسناء وهي ماشية لمحتكم، ودلوقت هي عاوزة واحد منكم يصور معاها الفيديو كليب الجديد بتاعها.

نظر الساحر للمجموعة في فرحة وهو يقول بكلمات ملأتها السعادة: طبعًا إنتم عارفين هتعملوا إيه من غيري، هخلص المصلحة دي وأجيلكم تكونوا سيطرتوا.

نظر له القائد وهو يقول: للأسف الفنانة ما اختارتكش إنت. الفنانة اختارت الأستاذ ده.

نظر الجميع في الاتجاه الذي أشار إليه، قبل أن يجدوا أنه يشير للشخص الوحيد الذي لا يصلح للتمثيل أمام الكاميرات. كان يشير للزومبي.

*****

نظر الساحر لمجموعته بعد انصراف الزومبي مع الفنانة حسناء وهو يقول: كده فريق التخويف ناقص واحد. وهنعوضكم بالقط.

نظر له القط في استنكار وهو يقول: ما يروح المذؤوب. اشمعنى أنا؟!

- قط مسلوخ وودانك كبيرة وشكلك وحش وبتتكلم. هنعوز إيه تاني نرعب بيه الناس يعني؟! المهم دلوقت الجني والفامبير ومديحة والقط هيروحوا يثيروا الذعر في الشوارع، وإحنا هنروح نقعد في أي فندق نتابع الأخبار لحد ما نحس إنكم سيطرتم هنتدخل. حد عنده أي استفسارات؟

رفع الفامبير يده فأشار له الساحر بالحديث. تحدث بصوت مرهق خافت: مديحة. مينفعش تاخدوها معاكم؟! أو نسيبها أو نحرقها. أي منظر يعني؟!

أجابه الساحر: مديحة قدرك. حد بيهرب من قدره؟ يالا يا ولاد. إحنا هنطلع الفندق اللي هناك ده وإنتم ابدأوا مهمتكم.

أنهى الساحر جملته وأشار للمذؤوب والمساعد ومشوا بعيدًا عن الفريق المخصص للرعب. وقف الفامبير وهو ينظر لهم قبل أن يقول: أنا هعين نفسي قائد الفريق. حد عنده اعتراض؟!

رفع القط والجني أيديهما بينما رمقته مديحة بنظرة غاضبة. تابع جملته: القط مينفعش لأنك صغير وبتختفي ساعة الزنقة. أما الجني فأنا راضي ذمتك يا شيخ. عمرك شفت قائد أخرس؟!

نظر تجاه مديحة التي لا تزال ترمقه بتلك النظرة النارية قبل أن يقول: وأنا من منصبي هذا كقائد للفريق أعلن عزلي عن منصبي وتعيين مديحة كقائد مباشر للفريق.

نزل منكس الرأس يجرّ أذيال الخيبة. قبل أن تقف مديحة أمامهم. نظرت لليسار وهي تتحدث. قال القط بصوت خافت: هي بتبص على مين؟

أجاب الفامبير بصوت يحمل بؤس الكون: أصلها حولة. تصدق تلاقيها فاكرة الفريق اللي معاها ٦ أشخاص مش ٣ بس!!

قاطع حديثهما صوت مديحة العالي: أنا كقائدة يعني عاوزة نعمل حاجة جديدة. يعني مثلاً هنستخبى في حتت ضلمة ونطلع للناس فجأة نقولهم بخ!

قاطعها الفامبير: دي جديدة!! جديدة إزاي؟! طب أقولك أنا الأجدد. إحنا منطلع نقولهم عو بدل بخ!

ظهر الانبهار على وجه مديحة: يا ابن الإيه، حلوة قوي الفكرة دي.

قاطع القط حديثهما الساذج: إنتي كانوا بيخوفوكي إزاي وإنتي صغيرة يا مديحة؟

- أخويا الصغير علاء كان بيستخبالي جوا بلاعة الحمام ويطلعلي في الضلمة يخبطني بالمقلاية في وشي ويستخبى جوا الكنيف، ويطلع من تحت عقب الباب يلبسني الحلة الفاضية في دماغي ويخبط عليها بالشاكوش ٣ خبطات، وقبل ما أفوق يشدني من شعري يجرجرني لحد المطبخ، هناك بيكون في حلة مية مغلية بيحط راسي فيها وبعدها يختفي، أقعد أدور عليه بيجي ٣ أيام ملاقيهوش، بس إن جيت للحق مكنتش بخاف.

حدث الفامبير نفسه بصوت منخفض: طبعًا يا مديحة هو فيه رعب أكتر من إنك تشوفي الخلقة دي كل يوم في المراية!

- بتقول إيه ياض؟!

- بقولك ربنا يحميكي من الرعب يا منايا، طب بصي حقنًا للدماء وسترًا للأعراض بلاش تفكري، سيبيلنا إحنا التفكير وانتي حاولي تنفذي صح على قد ما تقدري.

- أنا اللي غلطانة إني بساعدكم بأفكاري اللوذعية اللوجستية الديماجوجية المنوفية تاني!

- إنتي فهمتي إنتي قلتي إيه؟!

- لا.

- طب قلتيه ليه؟! المهم ما علينا. إحنا دلوقت هنروح مكان من أشهر الأماكن في لبنان. هنروح (سيدة حريصا).

سأله القط: وتطلع إيه سيدة حريصا دي؟!

- بيقال إن السيدة العذراء بكت هناك وهما بيجمعوا الزيت المقدس من بكاها ده. المكان ده من أشهر الأماكن هناك ودايمًا بيكون فيه زحام. يالا بينا.

صاح الجميع في صوتٍ واحد: يالا بينا.

ما عدا مديحة التي نظرت لهم ببلاهةٍ وهي تقول: يالا فين؟

صاح بها القط: امشي يا مديحة. امشي وإنتي ساكتة.

- بنفع أسكت وأنا ماشية؟

لم تكد تُنهي جملتها حتى باغتها الجني بصفعةٍ قوية على قفاها. نظرت له شزرًا قبل أن تصفع الفامبير على قفاه بقوة، تألم الفامبير وهو يصيح: وأنا مالي؟!

- هو كده؟! كيفي!

- صحة يا معلمة!

قالها وهو يتأملهم يمشون، ولم تمر لحظات حتى أدار وجهه للجهة المقابلة لهم وهو يُسرع الخطى، قبل أن يسمع صوت مديحة وهي تقول: رايح فين؟!

أجابها وهو يعدل وجهته ويسرع خلفهم: حبيبة قلبي، كنت بأمن الطريق بس!

*****

وقف الزومبي خلف الفنانة حسناء وهي تقدمه لمخرج الكليب وتشرح له رؤيتها الجديدة، حاول أن يستمع لها وهي تشرح بصوتها الناعم الأنثوي الذي يفيض حنانًا: دلوقت فكرة الكليب هتتغير خالص، أنا جت في دماغي فكرة جديدة.

نظر له المخرج وهو يسألها باستنكار: إيه الكائن القذر اللي واقف وراكي ده؟!

نظرت للخلف قبل أن تُجيب بلهجة مليئة بالحماس: ده زومبي!

انتفض المخرج كمن مسته الكهرباء، وهو يعتدل ويمدّ يده وينحني في احترام: أستاذ محمد سعد، والله ما عرفتك، شكلك متغير تمامًا.

سألته المطربة: محمد سعد مين؟!

- مش بتقولي اللمبي؟

- زومبي مش لمبي.

ترك المخرج يده وهو ينظر له باشمئزاز: جتك القرف، بتسلم عليا ليه إنت لما إنت مش الأستاذ محمد؟!

نظرت حسناء للزومبي فصمت تمامًا وهي تستكمل حديثها: الزومبي ده ميت حي، فكرة الكليب الجديدة، إن كل رجالة الكون مش مالين عيني ومحدش فيهم قادر يوصلي ولا يحبني، لحد ما بقابل الزومبي وبموت فيه، بس المفاجأة إنه مش بيحبني.

تحدث الزومبي للمرة الأولى وهو يسير نحوها، وقد امتلأت عيناه بنظرةٍ شهوانية: مين ابن كلب مايحبكيش يا قمر إنتي؟!

اعترضه المخرج وهو يقول: رايح فين بس، اعقل!

قال بلهجة المعتذر: آسف، اندمجت في الشخصية، الشخصية ركبتني.

صاح المخرج بصوتٍ مرح: ده على أساس إنك عربية؟!

انفجر كل من في الاستوديو بالضحك على الزومبي، الذي شعر بالإهانة وهو ينظر لحسناء التي كانت تضحك مع الجميع، قبل أن تلاحظ نظراته لها بلوم، صمتت ونظرت له معتذرة، تغيرت نظرة عينيه لنظرةٍ فهمتها جيدًا، نظرة شعرت أنها لمست قلبها وهي تلاحظ أنه يضغط على شفته السفلى بأسنانه، اهتز قلبها وشعرت بشعورٍ لذيذٍ لم تشعر به منذ زمن، سألته وهي تخفض عينيها في الأرض والحُمرة تهاجم وجهها خجلاً: بتبصلي كده ليه؟!

أجاب بصوت مختنق: عاوز أدخل الحمام.

*****

عد الساحر ومساعده والمذؤوب إلى الفندق وتوقفوا أمام باب الغرفة لخاصة بهم، قبل أن يشير للعامل برأسه، ابتسم العامل ورحل. نظر لهم ساحر بابتسامةٍ وهو يرى الرضى في عيونهم، تبادل ثلاثتهم ابتساماتٍ ذات مزى، قال لهم الساحر بصوتٍ واثق: قربنا يا ولاد.

عليه المذؤوب: أنا متفائل المرة دي يا كبير.

حك الثلاثة بصوت عالٍ ضحكاتٍ مليئةٍ بالزهوّ والفخر لقرب نجاح خطتهم.

الساحر يده للمذؤوب وهو يقول: هات.

المذؤوب بصوت متسائل: هات إيه؟!

المفتاح.

مفتاح إيه؟!

الأوضة.

أوضة إيه؟!

الفندق.

أنهي فندق.

صاح به الساحر وهو يقول: هات مفتاح الأوضة.

أشار المذؤوب لباب الغرفة وهو يقول: الأوضة دي؟! معاييش مفتاحها.

نظر المذؤوب للمساعد: ولا معاك؟!

أجاب المساعد: لا.

ثم نظر للساحر وهو يسأله: معاك إنت؟!

نظر له الساحر وهو يهز رأسه نفيًا: لا مش معايا، معاك يا مذؤوب؟

صرخ المذؤوب: إحنا هنلعب؟! حد فيكم يجري ورا العامل يجيب منه المفتاح.

اندفع مساعد الساحر يعدو ليتوقف أمام المصعد وهو يضغط زره في إصرار، لحظاتٌ مرت ولم يجد أي ردة فعل، فقرر أن ينزل على السلم عدوًا حتى يصل للاستقبال ليُحضر المفتاح، نظر المذؤوب للساحر وهو يقول: الكارت اللي في إيدك ده بتاع إيه؟!

ضرب الساحر رأسه بيده وهو يتذكر: دا بتاع الأوضة صحيح!

نظر له المذؤوب بغلّ وهو يقول: افتح الأوضة الله لا يسيئك!

انحنى الساحر وهو يحاول أن يضع الكارت بين إطار الباب الخشبي والقفل المعدني ويعالجه في محاولة لفتحه، قبل أن يسأله المذؤوب بصوت مستنكر: إنت بتعمل إيه؟!

- بحاول أفتح القفل، معاك بنسة شعر؟!

أجاب بغل: لا والله، ماما ماعدتش بتلبسهوملي من وأنا عندي ٨ سنين!

أنهى كلماته قبل أن يصرخ: بنسة شعر!! إنت مفكر إنك بتكلم عيّلة في ابتدائي؟! وبعدين إيه اللي إنت بتعمله ده!! أنا واقف مع حرامي؟! إوعى!

دفعه بعيدًا عن الباب وهو يأخذ الكارت من يده قبل أن يضعه في المكان المخصص له. لحظةٌ مرت قبل أن يسمع التكة المميزة الخاصة بفتح قفل الباب. دفع الباب بيده ودخل ومن خلفه الساحر وهما يتأملان الغرفة. كانت الغرفة واسعةً ومنظمة. هناك حائطٌ بأكمله غير موجود وبدلاً منه واجهةٌ زجاجيةٌ تُطل على مظهرٍ ساحر. فِراشٌ كبيرٌ عليه وسادةٌ بيضاء وعليها قطعتان من الشيكولاتة. هناك تلفازٌ ضخمٌ يحتل نصف حائط وأمامه أريكةٌ مريحة. منضدةٌ صغيرةٌ تقبع في منتصف الغرفة عليها طبقٌ واسعٌ مستدير فيه نوعان أو ثلاثة من الفاكهة الطازجة. بجواره جهازي تحكمٍ عن بعد أحدهما يخص المكيف والآخر يخص التلفاز. هناك ثلاجةٌ صغيرةٌ تقبع ساكنة وموتورها يهدر بصوتٍ خافتٍ بجوار السرير أرضًا. تحتوي على زجاجتي عصيرٍ وأنواعٍ مختلفةٍ من المقبلات وعدة أنواع من الشيكولاتة والمكسرات. بابٌ صغيرٌ على يسار الغرفة هو باب الحمام. حمامٌ نظيف متوسط الحجم. جلس الساحر على المنضدة وأمسك بتفاحةٍ حمراء نضرة. ألقى بها في الهواء وأمسكها وقضم منها قضمةً كبيرةً وهو يفتح التلفاز. وما إن فتح التلفاز حتى تسمر مكانه هو المذؤوب وهما يتابعان الشاشة وعيونهم متسعةٌ في دهشةٍ وعدم تصديق.

*****

وصل الجميع إلى سيدة حريصا أخيرًا ووقفوا أمامها يتأملونها بانبهار. كان الموقع عبارةٌ عن مبنى حجريٍ دائري أبيض اللون. قاعدته مبنيةٌ من الحجر

الطبيعي. هناك سلمٌ يدور حوله في شكلٍ حلزونيٍ من مائة وأربع درجات. بينما يحيط بالسلم سورٌ معدنيٌ صغيرٌ يستند إليه الزوار وهم يصعدون السلم حتى لا يصابوا بالدوار. أعلامُ لبنان تدور مع السور المعدني تُزينه بألوانها: الأحمر والأبيض وشجرة الأرز الخضراء الصغيرة تتلألأ في بهاءٍ بداخله. في الأعلى وعلى القمة تمثالٌ أبيضٌ للسيدة العذراء. بهيّ الخلقة. تقف وهي تمد يديها لأبنائها في إشارةٍ لقولها: تعالوا إليّ أيها الراغبون فيّ. واشبعوا من ثماري. حول رأسها تاجٌ مطعمٌ بنجومٍ حسنة المظهر نحاسية اللون. التمثال بأكمله يقبع بداخل ما يشبه التاج المعدني. يقف حول التمثال العديد من السياح منهمكين في تصويره والتقرب من السيدة العذراء. نظر الجني لهم وهو يهز رأسه. بدأ يرتفع عن الأرض بالتدريج ونيرانه تتغير للون الأسود وتُفرقع بعنف. ملامحه تزداد وحشيةً وشرًا وهو يفرد يديه حوله كأنهما جناحين. طار بالتدريج حتى وصل لارتفاعٍ يوازي ارتفاع التمثال. صوت قعقعة النيران لفت نظر الجميع الذين توقفوا عما كانوا يفعلونه واستداروا يتابعون الجني بدهشة. أعينٌ كثيرةٌ اتسعت وهي لا تُصدق ما تراه. أضواء الفلاش الخاصة بالكاميرات ملأت المكان. أشار الجني بطرفٍ خفيٍ للقامبيز والقط ومديحة الذين صعدوا بسرعةٍ ووقفوا خلف الناس قبل أن يصرخ القامبيز صرخةً هائلة. التفت إليهم الجميع وهم يرتجفون في هلع. بمجرد أن وقعت أنظار الناس عليهم حتى تغيرت نظرات الوجوه. طفلتان صغيرتان جرتا من وسط الزحام إلى القط الذي حاول أن يردعهما فصاح بصوتٍ وضع فيه قوة: اسمعوني!

توقفت الفتاتان للحظاتٍ قبل أن تستكملا العدو نحوه. جذبته إحداهما من ذيله والأخرى من أذنيه واستمرتا في التصارع عليه. بينما عددٌ من الفتيات

المراهقات اندفعن نحو الفامبير وهن يتحسسن أنيابه ورداءه ذا الياقة المرتفعة وشعره الطويل في ولهٍ وكأنهن يرين فتى أحلامهن. مجموعةٌ من الشباب المهتمين بدراسة الكائنات الغريبة بدأوا يقتربون من مديحة في حذر، بينما أحدهم يحمل عصا معدنية ويضرب بها بطن مديحة الممتلئ محاولاً أن يكتشف هل هو حملٌ أم انتفاخ، بينما أحدهم فتح كشاف ضوءٍ وسلّطه على وجهها وهو يتأمل ملامحها. نظر القط للفامبير ولمديحة قبل أن يُوجّه نظراته للجني: الحقنا. إحنا تقريبًا بنتشقط!

نظر له الجني باستنكار وهو يبثّ له رسالةً عقليةً وصلته بصوت مستنكر: تقريبًا!!

لم يكمل القط الحوار وهو يهتف: وداني!! طب ديلي!! طب واحدة تشد من الإيدين وواحدة من الرجلين. طب أي حاجة!

كان الجني يتابع الموقف عندما اقتربت منه سيدةٌ عجوزٌ تخطت الثمانين، ترتدي قميصًا مفتوحًا يُظهر جلدها المجعد وترتدي سروالاً قصيرًا مما أضفى عليها مظهرًا متصابيًا. كانت قبيحة الشكل مجعدة الشعر وجلدها مترهلٌ في بعض المناطق. نظرت للجني نظرةً تحمل المعنى الحرفي لكلمة تحرش وهي تقول: إنت مرتبط؟

اتّسعت عينا الجني في هلعٍ وعيناه تدوران في محجريهما تبحثان عن مهربٍ من تلك الورطة التي تحاصره.

*****

- كاااااااااااات، فركش!

بهذه الكلمات أنهى المخرج كليب الفنانة حسناء الجديد الذي وضع فيه عصارة فكره الإبداعية حتى يستطيع أن يُخرجه بهذا الشكل. أنهى الزومبي آخر مشاهده قبل أن يجد الجميع يلتفون حول المخرج وحسناء وهم يهنئونهما، لم يلحظه أحد وهو يمشي منكس الرأس بقلبٍ به غصةٌ لم يشعر بها سواه، نظر للخلف من فوق كتفه وهو يودعها بنظرةٍ أخيرة، لم تلحظه، كم تمنى وقتها لو أنها ترى عينيه، تشعر بقلبه، تمنّى لو أنه جرى إليها واحتضنها، تمنى لو أنها تشعر بما يجيش في صدره، لم يستطع أن يواجهها بما في قلبه في أسعد لحظات حياتها، تلك لحظتها وهذا وقتها ولا يجوز له التدخل فيه، ثم إنه لا يريد أن يعترف لها بحبه قبل أن يعرف مصيره، هل سيحكم جزءًا من العالم كما يحلم وكما وعدهم الساحر أم أنهم سيفشلون في مهمةٍ تلو الأخرى كما حدث من قبل؟ تلك الذكرى بالذات أشعرته بمرارةٍ غير مسبوقةٍ جعلت وجهه يحمر وهو ينظر للأرض مرةً أخرى، لحظةٌ مرت قبل أن يسمع صوتها الساحر وهو يناديه بدلال: زومي!

نظر لها في لهفةٍ، قبل أن تتحرك إليه بسرعة وهي تصفعه على قفاه وتقول بصوت عالٍ: تاني مرة لما تدخل الحمام تشد السيفون وراك!

اغرورقت عيناه بالدموع وامتلأ قلبه بالإصرار والتصميم على أن يُتم مهمته ويساعد الساحر فيها، لم يعد هناك متسعٌ من الوقت ليلعب أو يمرح، يجب أن يكون أكثر جديةً في الفترة القادمة، نظر لها نظرةً أخيرة وهو مصممٌ على النجاح، يجب أن يريها من هو الزومبي، يجب أن تركع تحت قدميه تطلب

عفوه في قصره الفسيح المتيف الذي سيؤسسه هنا. أخرج جهاز اللاسلكي الذي استلمه في بداية المهمة وضغط على زر التشغيل وهو يقول: تست، تست، واحد اتنين تلاتة تسعة اتناشر، فراشة الحاج زومي تحييكم وتتمنى لكم أفراحًا سعيدةً ومأتم حزينة، تست، تس...

قاطعه صوت الفامبير وهو يقول: إنت بتقول إيه؟! بتقول رقم تليفونك؟! عاوز إيه؟!

- فراشة الحاج زومي تسألكم، أين أنتم؟

- فراشة إيه يا حيوان؟! إحنا كنا بنتشقط واتبهدلنا، قابلنا في ميدان النجمة في بيروت، خلال ساعة هنكون هناك.

- محلات الحاجة زومي تحييكم وتتمنى لكم رحلاتٍ سعيدة، وأنا جاي.

- عارف سعيدة دي تبقى مين؟!

قاطعه الزومي حتى لا يسمع ما لا يُرضيه: طمني عليكم، مديحة بخير؟

- مديحة!! وهي دي بيحصلها حاجة؟ آي آي، مديحة كويسة يا زومي، كلنا بخير.

- أنا جايلكم في الطريق، لازم نبقى إيد واحدة.

- عندك حق، دلوقت وقت الاتحاد.

تساءل الزومي بذكاءٍ واضح: السكندري؟!

أغلق الفامبير جهازه فسمع الزومي التشويش على الجهاز، قبل أن يُغلق جهازه وهو يبحث عن أي وسيلة مواصلات لكي يصل لفريقه، يجب أن يحاولوا مرةً أخرى، يجب أن ينجحوا في السيطرة على لبنان، لتحقيق الحلم لابد من اتخاذ الخطوة الأولى، وهذا هو موعد الخطوة الأولى.

*****

سقطت التفاحة من يد الساحر وهو يتأمل المشهد الذي تعرضه شاشة التلفاز أمامه، لا يصدق ما يراه، تحقق حلمه أن يراها رؤى العين بدون أي تشفير أو أي تشويش، دون أن يضطر للدخول لمواقع إلكترونية لتحميل أجزاء منها لا تغنيه ولا تُحقق الشعور الذي ينتظره منها، اعتدل في جلسته وظهر الاستمتاع على وجهه، جلس المنؤوب بجواره وهو يتأمل الشاشة وما يُعرض عليها، تلاحم الأجساد العارية، الصدمات بين الجسدين، اهتزاز الأجساد، سمعا صوت الباب يُفتح، لم يستطع أيٌ منهما أن يرفع عينيه عن الشاشة وهو يُتابع ما يحدث بلهفة، دخل المساعد وجسده مبتلٌ بالعرق، كاد يصرخ بهما إلا أن عينيه تعلقتا بالشاشة وهو يتأمل ما يحدث، قبل أن يقول: المصارعة بدأت؟!

هز كلاهما رأسه بالإيجاب وهما يتابعان آخر مباريات مصارعة المحترفين تُبث أمامهما على الشاشة، قبل أن يسأل المساعد مرةً أخرى: كام كام؟!

نظر له كلاهما باستنكارٍ فخجل من سؤاله، قبل أن يجلس أرضًا وهو يُشاهد المباراة معهما. لحظاتٍ مرّت والصمت يسود المكان، قبل أن يتحدث المساعد بصوتٍ خافت: مفيش أخبار عن الجماعة؟!

تساءل الساحر وهو شاردٌ أمام الشاشة: مراتي؟!

- إنت مش متجوز على فكرة، الجماعة التانية!

أجاب بشرودٍ مرةً أخرى: الإخوان؟!

- مالناش دعوة بيهم، الناس بتوعنا!

- لا مسمعتش عنهم، تفتكر سيطروا؟!

أجاب المذووب وهو يُتابع الشاشة: مسمعناش صوت يعني!

أجاب المساعد: هو حد مات؟!

نظر لهما الساحر وهو يقول: مين اللي مات؟

أجابه المساعد وهو يقول: محدش مات، بس إحنا بنسأل.

أمسك جهاز التحكم وهو يُغلق التلفاز وينظر لهما بهدوء ويقول: مش عاوزين نغلط المرة دي، عندي أمل كبير ينجحوا.

أجابه المساعد وهو مستمرٌ في شروده: هما بيمتحنوا؟!

ألقى الساحر عليه تفاحةً من الطبق لتصطدم برأسه وهي تقع أرضًا. التقطها وهو مستمرٌ في شروده ونظرته نحو الشاشة المغلقة، فقضم منها بغير تركيزٍ قبل أن يقول: الماتش ده رائع، جامد قوي!

نظر الساحر والمذووب لبعضهما البعض قبل أن يفتح الساحر شاشة التلفاز ويضغط على زر تغيير القناة، لتظهر أمامهم تلك القناة الإخبارية الشهيرة، وعلى شاشتها مذيعةٌ حسنة المظهر تنقل خبرًا عاجلًا عن ظهور كائناتٍ فضائيةٍ لطيفة وتُعلن عن استضافتهم كمقابلةٍ حصريةٍ للبرنامج. تغيّرت الشاشة واتسعت لتُظهر الشارع والمذيعة تقف ومن خلفها جمعٌ غفيرٌ يشاهد اللقاء، وبعضهم يتحدث في الهواتف المحمولة ليخبر أصدقاءه باسم القناة حتى يشاهدوها، يقف بجوارها بعض الأشخاص وهي تُقدمهم في مقدمةٍ حماسية: ربنا بيحب لبنان. أول اتصال مع مخلوقات من الفضاء الخارجي على مستوى الكرة الأرضية، معكم الإعلامية رولا من برنامج لحظة الحقيقة، من قلب ميدان النجمة ببيروت. وفي البداية يجب أن أعرفكم على ضيوفي، تقف معي كائناتٌ تلبّست في أشكالٍ أقرب للبشرية حتى لا تُثير ذعرنا بصورتها الأساسية. معنا مصاص دماء وزومبي وقط متحدث وجني لطيف وكائنٌ غريبٌ يبدو أنه أحد حيواناتهم الأليفة. ولكنّ هذا الحيوان يدّعي أنه مؤنث ويدعى مديحة. وتعقيبًا على هذا الأمر نبدأ بالحديث مع الزومبي الذي عرّف نفسه على أنه قائد الفريق.. أستاذ زومبي، كلمنا عن المجموعة بتاعتكم وازاي جيتوا الأرض؟!

تناول الزومي الميكروفون من يدها وهو يقرّبه من فمه: تست، تست، فراشة الحاج زومي تحييكم وتتمنى لكم برنامجًا ممتعًا، في البداية أحب أشكر خالي وخالتي وابن خالتي الواد السيد عل..

صفعةٌ قويةٌ على قفاه من المذيعة أخرسته، نظر لها وهو يتابع الحديث: في البداية أعرفكم بنفسي، الزومي أقوى وأشجع فرد في الفريق ده، بيعتمدوا عليا بشكل كامل متكامل لا يتجزأ، من غيري ممك..

صفعةٌ قويةٌ من الفامبير أخرسته للمرة الثانية، صمت للحظةٍ وهو يقول: زي ما حضرتك شايفة أنا مُهزَأ ولا ليا قيمة هنا، الفامبير ومديحة مرتبطين.

قال الفامبير بصوتٍ خافت: للأسف!

أكمل الزومي حديثه: معانا قط متكلم حكيم وجني وبس.

نظرت المذيعة للقط وهي تضع الميكروفون أمامه وتقول له: مش هنسمع حاجة من أعمال حضرتك؟!

سأل القط بدهشة: أعمال إيه؟!

- طب هقولك، الجمهور يحب يسمع ولا واحد ولا مية ولا ألف وتلتومية.

- واحد إيه ومية إيه؟! أنا حكيم من الحكمة مش حكيم المطرب.

نظرت له المذيعة باشمئزاز، قبل أن تنظر للشاشة وهي تقول: أخيرًا معنا حالة فريدة، رجل تزوج من، من...

لم تعرف ما هو المصطلح المناسب، فمالت بجسدها على الزومي وهي تسأل: الكائن الغريب ده نوعه إيه؟!

- مديحة.

- لا مش اسمه، نوعه إيه؟!

- مديحة.

اعتدلت وهي تبتسم للشاشة في رقة وهي تستكمل حديثها: رجل تزوج من مديحة، نتوجه له بالسؤال: هل اختلاف النوع سيبلك مشكلة؟!

- في الحقيقة اختلاف النوع كان حافز كبير ليا إني أهرب أو أنتحر أو أموت، بس في النهاية اكتشفت إن مديحة قدر ومحدش بيهرب من قدره.

قطع حديثهم صوتٌ اندلع من أحد أجهزة اللاسلكي الخاصة بهم، كان صوت الساحر يصيح بغضب: عاملينلي نجوم مجتمع، يا فشلة، اللي واقفين قدامك دول يا رولا مجموعة فشلة ومهماش نافعين، تعالولي حالاً!

اقتربت مديحة من الشاشة وألصقت وجهها بها وهي تقول: إنت شايفنا يا ساحر؟! طب أمي شايفاني؟! أماااااا..

أغلق الساحر شاشة التلفاز حتى لا تُصيبه كوابيسٌ بسبب وجه مديحة، وهو ينظر للمذؤوب ويقول: فشلة! دلوقت لازم نسيب لبنان، مينفعش نفضل فيها أكتر من كده، في دماغي فكرة جبارة.

قام المساعد من على الأرض وأمسك رأس الساحر وهو يبحث في شعره: فين؟! فين؟!

أجابه الساحر بدهشة: فين إيه؟

- الفجلة اللي في دماغك؟

ركله الساحر بقدمه وهو ينظر للمذؤوب: انزل هاتهم عشان هنتحرك حالاً، ماعدش ينفع نفضل في لبنان، لازم نمشي.

أجابه المذؤوب: عُلم ويُنفذ، بس هنروح فين يا ريس؟!

- هنروح مكان لطيف وسهل عشان مايتعبناش، هنروح أم لبنان.

قاطعه المساعد وهو يعتدل مرةأخرى ويسأل: أم لبنان دي زي أم جلمبو كده؟!

ركله الساحر مرةً أخرى في بطنه ليُلقي به أرضًا وهو يشرد في تفاصيل خطته الجديدة وقراره ألا يفشل المرة القادمة، فهي أهمّ من كل مرة، يجب أن يعرف أين الخطأ، كل مرة يقترب من الوصول لهدفه ولكنّ عائقًا يحول بينه وبين حلمه، المرة الأولى كان استبداد الأمن وتعنته، المرة الثانية بسبب جنون العظمة والشهرة الذي أصاب فريقه، لكنه لن يسمح بأي خطأ في المرة القادمة، لن ينقسم الفريق مرةً أخرى، سيلبعون خطةً جديدةً في تلك الدولة التي ستسمح لهم بالسيطرة على قلب أوروبا.

*****

(٤)

فرنسا

وصل الجميع للعاصمة الفرنسية باريس، عاصمة الفن والفكر والنور، عاصمة الأزياء والموضة والرقة، باريس العاصمة التي لا مثيل لها في العالم، عاصمة الجمال والمركز الأوروبي للعلم والفنون، المدينة ذات التأثير الهام في السياسة والعلوم والترفيه والإعلام والأزياء والفنون، باريس هي إحدى أكبر مراكز الفن في العالم.. مطبخ المدينة يمتاز باستقطاب أشهر الطهاة على مستوى العالم.

كان الجميع في حالة دهشةٍ وهم يتأملون جمال تلك المدينة، أعينهم تجول على الشوارع النظيفة والمباني العالية التي يفصلها عن بعضها البعض مساحاتٌ خضراء ساحرة، نظر لهم الساحر وابتسم عندما رأى نظرات الإعجاب التي تلتمع في أعينهم، سألهم مبتسمًا: تحبوا تبدأوا السيطرة على العالم من هنا؟!

هزّ الجميع رؤوسهم في دلالةٍ على الموافقة وهم يتمتمون بكلماتٍ غير مفهومة، رائحة مخبوزاتٍ طازجةٍ تهاجمهم لتخلب ألبابهم من مدخنة أحد الأفران القريبة منهم، تبادل الجميع نظرةً ذات معنى، لن يسمحوا لأنفسهم بالفشل تلك المرة، لن ينقسموا لفريقين، سيكونون فريقًا واحدًا ويدًا واحدةً وعلى رأيٍ واحد، الخطة هذه المرة محكمة ولن تفشل، لكنّ الأمر كله يعتمد على الوحدة والتركيز.

نظر لهم الساحر وهو يقول: دلوقت هنروح مقر قناة تي أف ١، اللي إنتم ما تعرفوهوش إن القناة دي هي القناة الأكثر مشاهدةً على مستوى فرنسا، تقريبًا الفرنسيين كلهم بيشوفوها.

قاطعه الزومي: زي قناة التت في مصر يعني؟!

نظر له الساحر وهو يشير له بالاقتراب، هزّ الزومي رأسه وهو يبتعد خوفًا من الساحر، قبل أن يطمئنه الأخير: تعالى، هضربك على قفاك بس والله.

اقترب الزومي وهو مبتسمٌ ليصفعه الساحر على قفاه، قبل أن يعود ليقف وسط زملائه بفخر كبير وكأنه قد تم تكريمه، استكمل الساحر حديثه وهو يقول: ومن هناك هـ.. ما تيجي نشوف مع بعض؟

قاطعه القط: إيه جو الكاميرا الخفية ده؟! ساذج قوي الحوار ده!

نظر له الساحر ولم يرد عليه، بل سار وهم من خلفه يتبعونه للوصول لمقر القناة، قبل أن يسأل الزومي: سؤال مهم: إحنا هنعرف نتكلم مع الناس إزاي؟!

نظر له الساحر وقد اغرورقت عيناه بالدموع، للحظاتٍ حاول فيها منع دمعةٍ حزينةٍ يتيمةٍ فرّت من عينه وهبطت على وجنته، وهو يقول برفق: ألف حمد لله على سلامتك، أول مرة من يوم ما جبتك تكون مفيد!

قاطعه الزومي: آسف يا ريس والله ما قصدت، أنا بـ...

- حاول ما تتكلمش دلوقت عشان ماتضيعش اللحظة العظيمة دي، الفكرة هنا في السماعات دي، كل واحد فينا هيلبسها في ودنه، هترجملنا اللي بينقال وهنسمعه في ودانا بلغة بسيطة، وبنفس الطريقة هترجم كلامنا وتنطقه بلهجة ولكنة اللي بيكلمك.

مدّ يده وأعطى كلاً منهم سماعةً صغيرةً لا تظهر في الأذن لمن يرتديها، وضع كلٌّ منهم سماعته في أذنه، بينما مدّ الجني يده في طلبٍ واضح، سأله الساحر: نعم؟!

أشار له أن يعطيه إحداها، نظر له الساحر باستغراب وهو يقول: إنت أخرس، عاوزها ليه؟! ثم إنت أطرش وسامعنا وفاهمنا بالذبذبات العقلية، يعني مش محتاجها.

هزّ الجني رأسه في تفهم، قبل أن يمد يده مرةً أخرى للساحر الذي وضع يده على رأسه في يأس.

*****

وصل الجميع إلى مقر القناة، ووقفوا أمامها يتأملونها في انبهار بمبناها الواسع الشامخ، نظر لهم الساحر وأشار لهم من طرفٍ خفيّ أن ينتظروه هنا، تقدم في ثقةٍ نحو الباب، حاول أن يدخل المبنى إلا أن الأمن منعه في قوةٍ وعنف، تراجع وهو ينظر للأمن في سخرية قبل أن يشير بيده اليمنى عاليًا في الهواء، ليظهر القامبير من يمينه وقد انقلبت ملامحه وظهر فيها شرٌّ خالص، نظر له عمال الأمن بدهشةٍ وإن لم يتحركوا من أماكنهم، رفع يده اليسرى في الهواء فظهر خلفه المذؤوب وقد كشّر عن أنيابه بعنفٍ ولعابه يسيل في توحش، بدأ يلاحظ اهتزاز ثقة الأمن وخوفهم، استغلّ الفرصة وأنزل يديه بجواره وابتسامته تتسع لتحتل وجهه، بدأ الفريق يظهر واحدًا تلو الآخر من خلف الساحر، ظهر الجني وهو يبتسم ابتسامةً شيطانية، والمساعد يحمل القط الذي كشف عن أنيابه في شرٍّ هو الآخر، الزومي وقد مدّ يديه أمامه ومشى يترنح وهو يقضم قطعة

من اللحم والدم يغطي وجهه المرعب، مديحة وقد انقلبت سحنتها وتطاير شعرها من حول رأسها القبيح!!

نظر الجميع أمامهم للأمن الذي شلّه الخوف، والساحر يرفع يده في الهواء وقبضته مضمومة، نكّس رأسه على صدره، لحظةٌ مرّت قبل أن يرفع أحد أصابعه، لحظةٌ أخرى مرت وهو يرفع الإصبع الثاني في الهواء، رفع رأسه وهو يرفع الإصبع الثالث ضاحكًا. اندفع الفريق وكلٌّ منهم يزأر ويصرخ بوحشية هائلة، وهم يسرعون في العدو ومديحة تسرع خلفهم وهي تحاول أن تقتنص أحد هؤلاء الرجال، ترك رجال الأمن مقاعدهم وهم يجرون في هلع، تابعهم الجميع وهم يختفون قبل أن ينظر لهم الساحر ويهز رأسه برضى، كان الكل يبتسم في ثقة، يبدو أن الحظ يبتسم لهم أخيرًا، نظر لهم الساحر قليلاً قبل أن يقول: اللي عملناه هنا، هنعمله في كل المبنى لحد ما المبنى يفضى، ساعتها بقى هقولكم هنعمل إيه.

*****

نظر الساحر لفريقه في فخرٍ وهو يتأمل المبنى الفارغ تمامًا من أي شخص، ما عدا شخصين مقيدين يجرهما المساعد وهما يمشيان خلفه في هلع، نظر لفريقه وهو يقول: دلوقت فكوا المصور وخلوه يجهز الكاميرا عشان هنطلع نقول تقرير على الهواء مباشرةً، من دلوقت هتتغير كل حاجة، هنحكم، هنسيطر، هنسود!

تعاون المساعد والزومبي في حلّ وثاق المصور، وتبعه الزومبي وهو يمشي دامع العينين حتى وصل للكاميرا، أشار للساحر وفريقه إلى الأماكن التي سيقفون

فيها، وأخذ يعدل بعض الأشياء في الكاميرا، قبل أن يشير للساحر أنه مستعد. وجه الساحر أنظاره للزومبي وهو يقول: إنت دراعي اليمين دلوقت، هعتمد عليك كتير، خليك جنبي على طول ونفذ اللي اتفقنا عليه لما تسمع الكلمة اللي هنستعملها إشارة.

هز الزومبي رأسه في تفهم، كاد يشير للرجل بأنهم استعدوا إلا أنه لمح مديحة منحنية على الأرض تبحث عن شيءٍ ما، نظر لها الساحر وهو يسألها: مديحة، خدنا إيه من وشك لما هتديها...

قاطعه الفامبير: قلبك أبيض يا ريس، بتعملي إيه يا مديحة؟!

نظرت لهم وهي ما تزال مشغولةً بالبحث على الأرض: السماعة بتاعتي راحت فين؟!

نظر لها القط وهو يحاول أن يصنع من ذيله أنشوطةً يشنق بها نفسه ليتخلص منها، ويقول في يأس: سماعتك في ودنك يا مديحة!

وضعت يدها على أذنها وهي تتفقد السماعة: آه، لقيتها أهي.

نظر لها الساحر شزرًا قبل أن يعطي إشارة البدء للرجل، واطمأن إلى أنه بالفعل على الهواء قبل أن ينظر للشاشة وهو يتحدث:

أيها الأصدقاء الباريسيون، أصدقائي الفرنسيون على وجه العموم

باختصار وبلا أي مقدمات

إحنا جينا عشان نحتل فرنسا ومنها منحتل العالم كله. اللي قدامكم على الشاشة ده جزء بسيط منا

تقدروا تقولوا إن دول هم القادة، عندنا مليون زومبي ومليون فامبير

ألف ألف وحش جاهزين لقتالكم

جاهزين لمعركة إحنا متأكدين إنكم هتخسروها بعد ما تبدأ بلحظات

عشان كده وبكل بساطة وهدوء

قدامكم ساعة وألاقيكم تحت مقر القناة. راكعين على الأرض مستنيين خطابي الأول ليكم

الجيش والشرطة لو قرروا يقاوموا هيفشلوا، وعشان كده أنا بعرض على قادتهم الحضور إليّ

أنا في الدور الثاني في مكتب رئيس القناة، هتعلنوا استسلامكم هاكدلكم ان كل واحد فيكم هيكون في أمان

هتقاوموا ملكوش إلا مصير واحد بس عندي

منصحكوش تقرروا تواجهوني

أشار بيده للزومبي الذي فهم إشارته، مد يده للرجل المقيد والذي كان يخفيه المكتب عن أعين المشاهدين، وضعه فوق المكتب وانحنى على رقبته وهو ينظر

للشاشة في شبق يعكس مدى استمتاعه بما سيفعله، وضع أنيابه على رقبة الرجل ونظر للكاميرا وظهرت ابتسامة جانبيةٌ على وجهه قبل أن يبدأ في تناول قطع من رقبته وسط صرخاتٍ تنطلق قويةً من بين شفتيه، والدم يسيل على المكتب، قبل أن يشير الساحر للمسؤول عن الكاميرا أن يغلقها وهو ينظر للزومبي الذي استمر في تناول طعامه بشهيةٍ مفتوحةٍ، قبل أن يجلس على مقعد ويضع قدمًا فوق قدم وهو يتنفس للمرة الأولى منذ بدء المهمة بثقةٍ مفرطة، نجح فعلاً في تنفيذ أولى مهماته ولم يبقَ سوى الجلوس وانتظار النتيجة.

مرّت ساعةٌ واحدةٌ والساحر يجلس في مكتب رئيس القناة على كرسيه المريح، يفرد ظهره للخلف ويرفع قدميه على المكتب ويشاهد آخر المستجدات في نشرات الأخبار الفرنسية وهو ينظر لفريقه المنشغل بمناقشة أمور الخطة بين بعضهم البعض. أنزل الساحر قدميه وهو يعتدل ويغلق التلفاز لينتبه له الجميع، أشار بيده للفامبير أن يخرج للشرفة ليرى ما يحدث، خصوصًا وأن صوت لغطٍ بدأ يسود المكان، هزّ رأسه وهو يحاول أن يتحرك، إلا أن مديحة جذبت ذراعه وهي تقول: رجلي على رجلك.

أجاب بدهشة: هو أنا ههرب، أنا هشوف البلكونة وآجي!

رفضت مديحة أن يتحرك إلا وهي معه، خرج الفامبير للشرفة وتوقف وهو ينظر للجمع الذي توقف أسفل الشرفة، أعدادٌ هائلةٌ حضرت، أعدادٌ لا تُحصى، لن يبالغ الفامبير إذا أخبر الساحر أن العدد تخطى المليون، وقف

للحظة يتأملهم وهم يتحدثون مع بعضهم البعض، تأمل ملامح الخوف والهلع التي ارتسمت على وجوههم، شعر بخوفهم يخاطب جانبه الوحشي، رائحة الدماء البشرية التي تجري في عروقهم تستفزه، أغمض عينيه في استمتاع وهو يترك العنان لخياله، يتخيل أنه يغرس أنيابه في عروقهم التي تحمل الدم البشري، يمتص دماءهم قبل أن يتركهم جثثًا خاليةً من الدماء والحياة، سيمر القليل من الوقت قبل أن تتحول تلك الجثث لجيشٍ من مصاصي الدماء، أتباعه وأعوانه، تنحنح قبل أن يشعر به الجميع، تحرك شخص يرتدي زيًا عسكريًا في سرعة، وتوقف أمام الجمع وهو يمسك مكبر صوت، قبل أن يصيح في الجميع بقوة: أطيعوا!

على الفور ركع الجميع أمام الفامبير في خشوع، تأملهم في ثقةٍ وهو يشعر بشعور السلطة والثقة يزداد في صدره بقوة، مئات الأفكار جالت في خلده قبل أن تقطع مديحة أفكاره وهي تقول: هما موطيين ليه، سماعاتهم وقعت هما كمان؟!

- يعني لو رميت نفسي من هنا هتبقي مبسوطة؟! هترتاحي؟!

- لا يا قيفي هزعل.

- تزعلي ليه يا مديحة؟ بصي، طب أرميكي أنا من هنا، تحت في رجالة ملونة كتير.

- يعني هلاقي الرجل الأخضر؟!

- رجالة ملونة يا مديحة، يعني شعر أصفر، عيون خضرا، حاجات حلوة.

- فيه مصاصة؟!

- مصاصة إيه!

- مش إنت بتقول حاجة حلوة؟

- مديحة، اخرسي! ادخلي اندهي الساحر والعبي مع المساعد بتاعه.

دخلت مديحة وأشارت للساحر أن يدخل للشرفة، بينما وجدت المساعد يجلس أرضًا وهو يحاول أن يقرض أظافر أصابع قدمه اليسرى بأسنانه، جلست بجواره وحاولت أن تفعل مثله إلا أنها انقلبت على ظهرها، خرج الساحر إلى الشرفة وهو يتأمل الجمع الغفير الراكع في انتظار أوامره لهم، نظر لذي الرتبة العسكرية وعرف يقينًا أن الشرطة الفرنسية قد استسلمت والشعب أمامه ينتظر الأمر المباشر منه، كاد يبتسم بثقة إلا أن لكزةً من ذراع الفامبير لفتت نظره لذلك الجمع الآخر الذي بدأ يلوح في الأفق، اختفت ملامح الثقة في وجهه وهو ينظر لتلك المجموعة التي تظهر شمالاً بمشيتها العسكرية المميزة وردائها الموحد، بأسلحتهم التي يحملونها على ظهورهم، ومجموعة المقاتلين ذوي الرتب الكبيرة الذين يمشون في مقدمتهم، وقتها عرف أن مهمته على وشك أن تزداد صعوبة، ارتعش قلبه وهو يشعر أنه سيفشل للمرة الثالثة وربما تكون الأخيرة وهو يراهم أمامه، رجال الجيش الفرنسي.

*****

حاول الساحر التماسك وهو ينظر للجيش الفرنسي الذي اقترب من الشرفة والجميع يفتح طريقًا للمرور بينهم، توقف أعلاهم رتبةً وهو ينظر للساحر في

عينيه للحظات، قبل أن ينحني أرضًا وهو يُمسك مفتاحًا بيديه ويشير للساحر أن ينزل إليهم ليتناوله، برغم الفخر والثقة والقوة التي شعر بها الساحر تعتمل بداخله إلا أنه تساءل في دهشة: مفتاح إيه ده؟! مفتاح بيتهم؟

- بيت مين يا ريس؟ دا مفتاح المدينة!

- يعني إيه مفتاح المدينة؟ هما بيقفلوا الكالون وهما نايمين عشان الحرامية ولا إيه؟!

أجابه الفامبير بلهجة من فقد صبره: انزل خده منه وقول لجمهورك كلمة.

لحظاتٌ مرّت قبل أن يتوقف الساحر أمام الرجل المنحني وهو يتناول المفتاح، تأمله قبل أن يرفعه وهو ينظر للزومبي الذي ظهر في الشرفة وهزّ له رأسه في إشارةٍ لم يفهمها سواهما، أنزل الساحر يده بجواره وهو ينظر لهم ويده بجواره قبضتها مفتوحة، بدأ يغلق قبضته ببطء قبل أن يسمع الجميع صوتًا معدنيًا حادًا، صوت دقةٍ واحدةٍ صدرت من جرسٍ عملاق صدرت في ذات اللحظة التي أغلق الساحر فيها قبضته، وهو يصرخ بصوتٍ عالٍ مليءٍ بالقوة والسلطة وبلهجة آمرة: أطيعوا!

صوت دقةٍ أخرى ترددت بقوةٍ وهو يقول بذات اللهجة: تسلموا!

أدار ظهره وهو يشير لرجل الشرطة ورجل الجيش أن يتبعاه وهو يصعد السلم في سرعة، وهما من خلفه يتبعان خطواته، وصل الساحر للمكتب ونظر لمجموعته التي انتشرت في الغرفة في تكنيكٍ محددٍ مدروس تحسبًا لأيّ غدر قد يصدر من أحد الرجلين، بينما تولى المذؤوب تفتيشهما بدقة وهو يكشر

عن أنيابه بقوةٍ مخيفًا إياهما، جلس الساحر وأشار لهما بالجلوس، جلسا أمامه، نظر لهما بصمتٍ تامٍ قبل أن يسألهما: الريس أخباره إيه؟

قاطعت مديحة سؤاله بلهجةٍ مرحة: الريس متنقال!! هما بيسمعوه هنا في فرنسا؟!

نظر لها الساحر ينهرها وهو ينظر لقائد الجيش، الذي أجاب في لهجةٍ عسكرية: تحفظنا عليه وفي انتظار أوامر معاليك.

- كويس، كويس.

صمت للحظاتٍ قبل أن يسأل: فيه حد رفض يستسلم؟

أجابت مديحة بصوتٍ عالٍ: مين اللي مايستسلمش ده!! وعهد الله كنت أقطعه بلساني!

- تقطعيه بلسانك!! يا فامبير هرميهالك من الشباك وأخلص منها!

وضع الفامبير يده على فمها قبل أن يبدأ وجهه في التغير والاحمرار ويرتعش جسده، سأله الساحر: مالك؟!

أجاب وهو يقاوم وعيه الذي ينسحب منه: بتلحس إيدي!

صرخ فيها الساحر: ما تتلمي يا بت!

ثم نظر لقائد الجيش وهو يقول: اضربها بالنار، اضربها واخلص. ولا أقولك، اضربني أنا. أنا عاوز أموت!

أخذ الجميع في تهدئته وهم يُخرجون مديحة خارج الغرفة: نظر الساحر للقادة وهو يمنحهم الإذن بالإجابة على سؤاله الأخير. نظرا لبعضهما البعض قبل أن يقول قائد الجيش بصوتٍ منكسر: مجموعة شباب احتلوا الأنفاق اللي تحت بارنس وبينظموا مقاومة. إحنا منتظرين أمر معاليك عشان نحاصرهم.

- طب وتحاصر ليه؟! ما نهاجم على طول!

أجاب المساعد بذكاءٍ من الجهة الأخرى من الغرفة: يمكن متعب وجنو مبيلعبوش يا ريس! هيهاجم إزاي بس!!

نظر له الساحر وقد ارتفع حاجباه في دهشةٍ من ردة فعله الغبية. قبل ان يقرر تجاهله بشكل كامل وهو يقول للقادة: عندنا عدد كفاية من الجيش والشرطة عشان نحاصر كل مداخل ومخارج الأنفاق؟!

نظرا لبعضهم البعض وقائد الشرطة يقول: للأسف لأ.

حك الساحر ذقنه وهو يفكر: طب ولو وقفنا شرطي وضابط جيش ومعاهم مجموعة مدنيين، هنكفي؟

- هنحاول يا فندم.

أمسك قلمًا كان أمامه وهو يسأل قائد الجيش: تقدر تحدد قدامنا وقت قد إيه تقريبًا قبل ما المقاومة تنطلق؟

نظر للأرض وهو يقول في خجل الإجابة التي أثارت خوف كل من في الغرفة، وأوقعت قلب الساحر، وهزتهم نفسيًا بينما يحاولون التماسك أمامهما، تبادل الساحر والزومي النظرات بينما ابتلع كل من المنذوب والجني ريقهما بصعوبة، كانت الإجابة: ساعات قليلة!!

*****

صرفهم الساحر وجلس في مكتبه يفكر فيما يحدث. لقد سيطروا بالفعل على فرنسا ويجب عليه الآن أن يعرف كيف يحل تلك الورطة التي تقابله، لن يستسلم ويترك أمله يضيع من بين يديه. لقد اقترب حلمه وكاد يصير بين يديه، ولن يستسلم لأي سببٍ من الأسباب. المقلق أنه حتى لو وضع على كل مخرجٍ شخصًا واحدًا سيكون قلقًا، ولكن ما العمل؟!

كان يجلس وحيدًا في مكتبه يعتصر ذهنه تفكيرًا وبحثًا عن أي مخرجٍ من تلك الورطة، عندما دخل عليه المنذوب وعلامات الهلع تبدو على وجهه، وهو يصرخ بصوتٍ متقطع: الحق يا ريس، مصيبة، مصيبة!

وقع قلب الساحر وهو ينظر له بقلق، هل يُعقل أن يكون الثوار قد قرروا الهجوم مبكرًا ليستغلوا عنصر المفاجأة؟ آلاف الأفكار اعتملت في عقل وقلب الساحر، قبل أن يستجمع الباقي من شتات نفسه وهو يسأل بصوتٍ قلق: إيه اللي حصل؟

- مديحة عايزة تبوسني!

انحنى الساحر أرضًا وهو يتناول حذاءه ويلقيه على وجه المذؤوب، الذي لم يستطيع أن يتفاداه، قبل أن يصيح به: إنتم وحوش، مش عيال في الحضانة، اكبروا بقى!

خرج المذؤوب من الغرفة قبل أن يمسك الساحر جهاز لاسلكي من على مكتبه وهو يضبطه على موجةٍ معينةٍ ويتحدث: سامعني؟

أجابه صوت الضابط الفرنسي: أيوه سامعك، مين؟!

- مين إيه!! هو أنا متصل بيك على الخط الأرضي بتاع بيتكم؟! أنا الساحر!

- الساحر مين؟!

- إنت بتكلم مين؟! إنت مش لسه كنت معايا في المكتب؟

- هو إنت الساحر!

- يا بني هو حد معاه الموجة دي غيرنا!

- لا!

- خلاص يبقى أكيد أنا!

- أؤمرني يا باشا، أؤمرني أمر شديد معرفش أنفذه أقوم أعتذرلك فتطلب مني طلب تاني أخف منه، إحنا في خدمتك معاليك.

- إنت عبيط؟

- لا يا باشا، أنا ظابط.

- اخرس بقى، يعني أنا كنت سيء الحظ جدًا بحيث إن إنت دونًا عن ٢ مليون باريسي تبقى مساعد ليا؟!

- ٢ مليون و ٤٠٠ ألف معاليك سيادتك حضرتك يا فندم.

- معاليا سيادتي حضرتي يا فندم؟!

- أه، كأني بحترم معاليك وكده.

- كأنك، إنت حيوان على فكرة!

- لا أنا ظابط معاليك.

- إنت ظابط حيوان.

- لا يا باشا.. أنا ظابط شرطة.

- طب اسمع الله لا يسيئك، عملتوا إيه؟

- في إيه يا باشا؟

- بقولك إيه، الغي العملية وتعالى اضربني بالنار! عملت إيه في تأمين المخارج؟

- شغالين سعادتك، بس عندي فكرة.

- قول.

- عاوزين ننقل محل إقامة معاليك لفوق البرج.

- هتقعدني فوق البرج!

- يا باشا هنعملك مكتبك فوق البرج، في أعلى مكان في باريس.

صمت الساحر وهو يفكر قليلاً قبل أن يقول: فكرة مش بطالة، هجهز الفريق وأجيلك.

نادى الساحر فريقه وأمرهم بجمع حاجياتهم لأنهم سيذهبون لبرج إيفل، سيحكمون فرنسا من قلب برجها المعدني الضخم، لم يكن الساحر يعرف وهو ينطق تلك الكلمات أنه سيذهب للبرج ليغير مجرى التاريخ البشري، لم يكن يعرف المفاجأة التي تنتظره وتنتظر العالم.

=====

وصل الفريق قرب برج إيفل الشهير يتوسط جمعًا غفيرًا من البشر التابعين لهم، يشكلون حولهم مربعًا بشريًا بهدف حمايتهم، أعطى الساحر إشارةً بالتوقف فتوقف الجميع فورًا، بإشارةٍ أخرى من يده أفسح الجميع المكان لقائد الشرطة ليمر ويخترق الضلع الشمالي وهو يدخل للساحر، وقف أمام الساحر وهو يقول: نورت الدنيا.

ابتسم الساحر ابتسامةً قلقةً وهو يقول: ممكن أعرف غيّرنا المكان ليه؟

اتّسعت إبتسامة قائد الشرطة وهو يقول: إنت نفسك قلت إنها فكرة مش بطالة! دلوقت بتسأل؟

زاد القلق على وجه الساحر وهو يحاول أن يُهدّئ من روعه، ويسأل القائد بصوتٍ حاول أن يُخفي قلقه: أنا مقدر إنك راجل عسكري وطبيعة كلامك خشنة، بس ما تنساش إني القائد المباشر بتاعك.

ابتسم القائد وهو ينظر جهة اليمين قبل أن يستطرد وهو لا ينظر للساحر: بص فوقك.

نظر الساحر للأعلى في قلقٍ وهو يتأمل قمة البرج المعدني، سأله القائد: شايف إيه؟!

تأمل الساحر المنظر أمامه للحظاتٍ قبل أن يقول بصوت خافت: قمة برج إيفل.

أجاب القائد بتهكم: بس!

صمت الساحر للحظاتٍ وهو يفكر، قبل أن يقول: علم فرنسا؟

نشوةٌ غريبةٌ لمعت في عيني القائد وهو يصيح بصوتٍ عالٍ: فرنسا هي القائد المباشر بتاعي، فاهمني؟!

تساءل الساحر بقلق: قصدك إيه؟

ارتفع صوت القائد وهو يترنم بكلمات أغنيةٍ فرنسية، كان يشدو بها منفردًا قبل أن ترددها معه عشرات الأصوات القادمة من المخارج والمداخل

Do you hear the people sing?

Singing a song of angry men?

It is the music of a people

Who will not be slaves again!

When the beating of your heart

Echoes the beating of the drums

There is a life about to start

When tomorrow comes!

تلك الأغنية التي لطالما كانت رمزًا للثورة ورجال المقاومة الفرنسية على مرّ الزمان. مئات الرجال يرددونها وهم يصعدون من المخارج والمداخل يمسكون بأيديهم مشاعل نيرانٍ وأسلحةً نارية. الصوت يعلو أكثر وأكثر. المفاجأة كانت في المربع البشري الذي يحيط بهم. بدأ الرجال الفرنسيون من حولهم يرددون الأغنية وبدأ كلٌّ منهم يُخرج سلاحًا من بين ثنيات ملابسه. اصفر وجه الساحر وانسحبت الدماء من عروقه. شلّه الخوف للحظاتٍ إلا أنه تدارك موقفه عندما لمح أضلاع المربع تضيق من حوله. نظر للجني نظرةً ذات معنى وهو يصيح: الخطة ب!

في لحظاتٍ كان الجني يرتفع عن الأرض في سرعةٍ وهو يحرك يديه في الهواء. بدأ شيءٌ يشبه الفقاعة الزجاجية يتكوّن حول الفريق. الجمع يقترب أكثر والجني يحاول بشدة وعلامات الألم ترتسم على وجهه. بدأت الفقاعة تتكون بينما الرجال يعدون إليهم. أحد الرجال وصل إليهم ومد يده دول أن يعبأ بأي شيء وجذب مديحة – الأقرب له – خارج الفقاعة. صرخت مديحة وهي تقع أرضًا بينما وصل رجلان آخران وأخذا يركلانها بالأحذية. استنجدت بهم مديحة إلا أن الساحر أمرهم ألا يتحركوا حتى تكتمل الفقاعة. الدموع تسيل بغزارةٍ من بين عينيها بينما الدماء تسيل من جانب فمها على رقبتها وصدرها. رآها الجميع تُحاول أن تجمع ملابسها التي تمزقت على جسدها وتحاول أن تغطي جسدها العاري، بينما الأحذية تركلها في كل مكان. آهاتها الموجوعة تعلو. لم يحتمل الزومبي. قفز خارج الفقاعة وهو يزأر بقوةٍ ووصل إليها. تذكر جانبه الوحشي. حاول الفامبير والمذؤوب أن يلحقا به إلا أن الساحر ومساعده أمسكا بهما بقوة. القط تكوّر على نفسه ينوح في ألمٍ يُقطّع القلوب. تخلّص الزومبي من رجلين منهما بينما طرح الثالث أرضًا. حمل مديحة وجرى وهو ينظر خلفه. المئات من الرجال خلفه والفقاعة اقتربت على الانغلاق. مد يده للمذؤوب من الأعلى فتناول منه مديحة الفاقدة الوعي. حاول المذؤوب أن يمد يده للزومبي الذي وقف ينظر لهم من خلال الحاجز الزجاجي للفقاعة التي اكتملت. دمعة حزنٍ سالت على وجنته قبل أن يسمع دوي طلقاتٍ نارية. اهتزّ جسد الزومبي عدة مراتٍ والطلقات تخترقه. سقط على ركبتيه وعيناه تبكيان بمرارةٍ وهو يحاول أن ينطق بكلمة واحدة: سامحوني-

مد يده يحاول أن يمسّ الفقاعة إلا أن رصاصةً اخترقت رأسه بعنف. أغلقت عيناه في نفس اللحظة التي اختفت فيها الفقاعة من على الأرض.

*****

(٥)

النهايـــة

جلس الجميع في غرفة الساحر في منزله، نظر له الجميع وهو يجلس صامتًا، قبل أن يسأله القط: وبعدين؟! أنا عارف إن كلنا مصدومين وقلبنا واجعنا، بس خلاص؟

نظر له الساحر ولم يرد، تابع القط كلماته: كنا قربنا قوي، خلاص كان الحلم بين إيدينا، وفجأة حصل حاجة قلبت كل الموازين، نرجع مصر ونحط إيدينا على خدنا ونعيط؟!

للمرة الثانية لم يرد الساحر وإنما بدأت عيناه تلتمعان في إشارةٍ لاقتراب الدموع، والقط يستكمل: هنستسلم؟! عاوز تبقى قائد العالم كله وعند أول مطب تستسلم؟!

- كفاااااااااااااية

صدرت تلك الصيحة من الساحر الذي لم يتمالك أعصابه أمام تأنيب القط وتوبيخه، بدأ يتحدث بصوت منفعل: اللي مات ده ممكن يبقى أقرب ليا منكم، دا زيه زيكم، ابن من ولادي، أنا اللي جيت بيه العالم، أنا أكتر واحد قلبه يوجعه عليه، فعشان خاطري بلاش مزايدة، محدش فيكم عالم باللي جوايا له!

ردت مديحة بصوتٍ خافتٍ من بين دموعها: أنا السبب! أنا السبب!

صاح بها الساحر ينهرها: محدش السبب، أي حد فينا كان ممكن يبقى مكانك، إنتي ملكيش ذنب.

أجابت بصوتٍ خافت: طب ممكن، ممكن أطلب طلب..

- اطلبي يا مديحة.

- ممكن نشغل قرآن على روحه؟

أجاب الساحر باستنكار وهو يشير إلى الجني: يعني عشان نودع واحد، نحرق التاني؟

- طب ما هو أخرس وأطرش!

- وانتي هبلة وعبيطة!

- صح، عندك حق.

نظرت للجني قبل أن تقول: حقك عليا يا أبو الجان يا عسلية إنت يا مولع، منور.

قهقهت في فرحةٍ، قبل أن يصفعها الساحر على قفاها وهو يقول: الزومبي لسه ميت، اتلمي!

نظرت للأرض في خجل. نظر الساحر للجمع الموجود أمامه وهو يقول: أنا قررت إننا مش هنفقد الأمل، هنحضر ناس جديدة ونروح أماكن جديدة.. هنحقق حلمنا مش عشاننا إحنا بس، كمان عشان المرحوم. لازم نعمله تمثال في كل دولة نكرّمه بيه.

هزّ الجميع رؤوسهم بالموافقة. استكمل الساحر: اتفضلوا يلا كل واحد فيكم ينزل يشوفله شغلانة على ما نقوّي التعويذة ونحضّر باقي الفريق. وخلوا أجهزة اللاسلكي معاكم عشان لحظة الاستدعاء هتقرب. يلا يا مذؤوب خد القط وخليكم سوا. الجني إنت هتكون لوحدك. الفامبير خد مراتك وشوفولكم شغلانة.

أجاب الفامبير باستنكار: مرات مين؟!

سمع زمجرة مديحة بجواره فتابع: مراتي بس قصدي.. دي حبيبتي وروح قلبي!

وقف الجميع وهم يتبادلون النظرات، قبل أن يصافحوا بعضهم البعض وينزلوا على السلم مجموعةً تلو الأخرى.

بعد فترة من الزمن:

كان الفامبير يقف على عربةٍ للفول والفلافل في قلب القاهرة، عندما اقترب منه شخصٌ ووقف أمامه وهو يقول: والنبي يا عم فامبير إديني رغيفين فول بالطحينة.

انهمك الفامبير في إعداد طلبه عندما اكتشف أن الطحينة انتهت، فنادى بصوتٍ عالٍ: حبيبة قلبي – الله يحرقك – شوية طحينة هنا، حمادة النتن عاوز يفطر.

ظهرت مديحة وهي تُعطيه علبةً تحتوي على الطحينة، عندما سمعا صوت أزيزٍ يأتي من جهاز لاسلكي يعلقه الفامبير إلى جانبه، تبادلا النظرات وهما ينظران لبعضهما البعض، أمسك الفامبير اللاسلكي وقربه من فمه: الساحر!

- عامل إيه يا فامبير؟ إزيك وإزي مديحة؟

- بخير يا ريس، إيه الغيبة الطويلة قوي دي؟!

- كنت بجهز الفريق الجديد، جاي إنت ومديحة؟

- طبعًا يا كبير، إحنا معاك.

- طب حاول تتوّه مديحة وإنت جاي.

- هحاول ولو إن مديحة يا باشا هتعرفنا من ريحتنا، جايين حالاً يا ريس.

*****

نادى ذلك الرجل الضخم وهو يجلس على المقهى البلدي الشهير (الأرنب الجائع) على عامل المقهى: ولا يا أبو الأدياب، حجر تفاح ياض.

ظهر المذووب وقد ارتفع صوته وهو يهتف بلهجة عمال المقاهي المميزة: أبوا جاااااااي، وعندك حجر تفاح للمعلم حمادة الأعرج وصحبته عبده الكسيح وإسماعيل الكسر.

ارتفع صوت القط من داخل القهوة وهو يقول: دي مش صحبة، دي حادثة.

علا صوت الجميع بالضحك بما فيهم الرجل الضخم وأصدقاؤه، قبل أن يُسمع صوت الأزيز المميز لمكالمة الساحر من اللاسلكي الموجود حول رقبة القط، تبادل القط والمذووب النظرات، قبل أن يُمسك المذووب بالجهاز وهو يضغط زره ويقول: واحد، اتنين، تلاتة، هل تسمعني، ألو ألو!

- سامعك يا أهبل.

- عمي وعم عيالي.

- عمك أخو أبوك وعم عيالك أخوك! إنت مجنون!

- انجز يابا.

- إيه يا عم الطريقة دي، إنت قهوجي؟

- أه يا كبير، اشتغلت قهوجي والقط معايا أهو واقف على نصبة الشاي.

- طب هاته وتعالى أعرفكم على الفريق الجديد عشان هنبدأ قريب.

- عُلم ويُنفذ يا باشا، نخلص الوردية ونيجي.

- ٣٠ دقايق لو مكنتش عندي هنتفلك شعرك كله.

- دقيقتين هكون قدامك.

*****

جلس الجني وهو يرتدي جلبابًا أبيض واسعًا تخرج من فتحاته ألسنة اللهب البارد التي تحيط به. نظر للرجل الجالس بجواره قبل أن يُمسك ورقةً وقلمًا ويبدأ في الرسم على الورقة. لحظاتٌ مرّت قبل أن يمسك الورقة وينظر لها بإعجاب ويعطيها للرجل الموجود بجواره، نظر فيها الرجل وهو يسحب نفسًا عميقًا من السيجارة المشتعلة بين أنامله، قبل أن يبدأ بنطق العنوان وهو ينفث الدخان من فمه: كيف تسرق سيتي ستارز في ٥٠ ثانية. العنوان حلو، المهم الخطة! إنت عارف إني ماضميتكش للعصابة غير عشان أفكارك الجهنمية.

لحظاتٌ وهو يمر بعينيه على الخطة وعيناه تتسعان في ذهولٍ وانتشاء، قبل أن يقول: عفارم عليك، جبت الخطة دي منين؟ إنت شيطان؟

لحظة صمتٍ مرّت وهما يتبادلان النظر، قبل أن يقول الرجل: آه صحيح إنت شيطان!

تغيرت النظرة على وجه الجني وهو يتلقى تلك الرسالة العقلية، قبل أن تنفرج أساريره عن ضحكةٍ من القلب وهو يتذكر أيام الفريق القديم والمهمات حول العالم. خرج وهو يحافظ على ابتسامته ولا يرمي بالاً لما حوله. قبل أن يعود للغرفة مرةً أخرى ويجذب الورقة من يد زعيم العصابة ويرحل.

*****

وصل الفامبير ومديحة لبيت الساحر ليجدا أن المذؤوب والجني والقط في انتظارهما. صاح المذؤوب فيهما بصوت عالٍ: الهوات اللي لهم وحشة، اتأخرتوا ليه؟

أجابت مديحة وسط انهماكها في السلام عليهم: هو فيه حاجة فاتتنا ولا إيه؟

أجاب القط وهو يبادلها التحية: لا بس كنا المفروض توصل كلنا في نفس اللحظة زي الأفلام العربي والحركات دي بقى.

أجاب الفامبير بصوتٍ ساخط: إنت تافه قوي، إيه السطحية دي؟

أجابه القط بسخرية: طبعًا، ما إنت متجوز ملكة العالم في العقل!

قاطعهما صوت الساحر وهو يقف في الشباك: اطلعوا يا غجر، هقعد أستناكم للفجر؟

صعد الفريق على السلم قبل أن يقابلهم الساحر ومساعده وهما يقفان كتفًا إلى كتف ويخفيان باب الشقة من خلفهما. نظر لهم الساحر قبل أن يبتعد هو ومساعده في حركةٍ مسرحية ويسمح لهم أن يروا أعضاء الفريق الجديد الواقفين في استقبالهم. لحظةٌ مرّت قبل أن يهمس المذؤوب بصوتٍ مبحوح: المرة دي مينفعش نفشل!

تمت بحمد الله


محمد عصمت
التعويذة
الخاطئة
اعداد
ربيع الكتب
book-spring.com